
القافلة
ذو القعدة ١٤٠٤هـ يوليو/أغسطس ١٩٨٤م



على كل ركن من أركان ضريح الامبراطور المغولي «جها نجير» تقوم مئذنة رشيقة تعكس الطراز المغولي في العمارة.



القافلة
THE CARAVAN
JULY / AUG. 1984


لاهور .. عروس مقاطعة البنجاب


الشركة السعودية للحديد والصلب

العدد الحادي عشر / المجلد الثاني والثلاثون
ذو القعدة ١٤٠٤هـ يوليو/أغسطس ١٩٨٤م

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

توزع مجاناً

المدير العام : فيصل محمد البسام
المدير المسؤول : إسماعيل ابراهيم نواب
رئيس التحرير : عبد الله حسين الغامدي
المحرر المساعد : عوني أبو كشك

الغلاف :

تنقل السيور المتحركة خام الحديد الى اعلى الفرن حيث تتم عملية الاختزال وتصبح خامات الحديد جاهزة للمرحلة الثانية.

تصوير: محمد صالح آل شبيب

تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM



من أبرز آيات الاعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ما جاء فيه بأسلوب المبالغة بقصد التهويل والتفخيم.

والمبالغة — كما عرفها أهل البيان: «هي الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة ... أي أن يذكر المتكلم وصفا يزيد فيه حتى يكون أبلغ من المعنى الذي قصده. أو .. هي — كما قال الباقلاني — «الدلالة على كثرة المعنى».

وقد عرّف أبو هلال العسكري المبالغة بقوله: «المبالغة أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته، وأبعد نهاياته، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازله، وأقرب مراتبه» (١).

• وضرب لذلك مثلا — من قول الله تعالى: «**يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى**» (٢). وقال: لو قال القرآن: تذهل كل امرأة عن ولدها لكان بيانا حسنا، وبلاغة كاملة، وانما خص المرضعة للمبالغة، لأن المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته اليها، وأشغف به لقربه منها، ولزومه لها، لا يفارقها ليلا ولا نهارا، وعلى حسب القرب تكون المحبة والالف.

• وكذلك قوله سبحانه: «**كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء**» (٣). ولو قال القرآن: يحسبه الرائي لكان جيدا، ولكن لما أراد المبالغة: ذكر الظمآن، لأن حاجته الى الماء أشد، وهو على الماء أحرص.

ولقد وردت المبالغة في القرآن العظيم على وجوه كثيرة.

الوجه الأول: المبالغة في الصفة المعدولة:

• ومن هذا الوجه أبنية عديدة .. منها فَعْلان .. كرحمن . من مثل قوله تعالى:

«**قل ادعو الله أو ادعو الرحمن أياً ما تدعو فله الأسماء الحسنى**» (٤) «فرحمن» صفة معدولة عن راحم للمبالغة، ولا يجوز أن يوصف به الا الله عز وجل، لأنه يدل على معنى لا يكون الا له سبحانه، وهو معنى وسعت رحمته كل شيء. قال بعض العلماء: لقد غلطوا في تفسير «الرحمن» حيث جعلوه بمعنى المتصف بالرحمة، وانما معناه: القدير، العظيم العادل. بدليل قوله تعالى: «**واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن**» (٥)، وانما يصلح السجود لمن له العظمة والقدرة. و «**اني أعوذ بالرحمن**» (٦)، ولا يعاذ الا بالعظيم القادر على الحفظ.

• «**وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا**» (٧) أي وما ينبغي للعظيم القادر على كل شيء المستغني عن معاونة الولد وغيره أن يتخذ ولدا.

• «**قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن**» (٨) ولا يحتاج الناس الى حافظ يحفظهم من ذي الرحمة الواسعة.

فلا مناسبة اذن لمعنى الرحمة في شيء من هذه المواضع.

• ومن صيغ المبالغة في الصفة المعدولة: «فعيل» .. كقدير، ورحيم، وعليم، وحكيم، وكريم، ويقصد بها المبالغة في حقه، والنهاية في صفاته، وأكثر صفات الله — سبحانه وتعالى — جارية على هذه الصيغة.

• وقد أثار بعض العلماء قضية حول قوله تعالى: «**والله على كل شيء قدير**» (٩) وقالوا: ان «قديرا» من صيغ المبالغة، يستلزم الزيادة على معنى قادر، والزيادة على معنى قادر مُحال.

والحقيقة ان المبالغة هنا بالنسبة الى تكثير التعلق لا بالنسبة الى تكثير الوصف.

وكذلك قوله عز شأنه: «**والله بكل شيء عليم**» ويستحيل عود المبالغة الى نفس الوصف، اذ العلم بالشيء لا يصح التفاوت فيه، فيجب صرف المبالغة فيه الى المتعلق، فيكون من باب اطلاق الجزء وارادة الكل.

ومن صيغ المبالغة في الصفة المعدولة كذلك: «فعّال» كغفّار، وتواب من مثل قوله عز وجل: «**وانا أدعوكم الى العزيز الغفّار**» (١٠)، وقوله جل وعلا: «**واني لغفار لمن تاب**» (١١) فغفّار صفة معدولة عن (غافر) للمبالغة. وكذلك (توّاب) من قوله الحق تبارك وتعالى:

• «**فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم**» (١٢)

• «**وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم**» (١٣)

• «**ان الله هو التواب الرحيم**» (١٤)

قال الزمخشري — في كشافه — أثناء تفسير سورة الحجرات: «المبالغة في «التوّاب» للدلالة على كثرة من يتوب اليه من عباده، أو لأنه ما من ذنب يقترفه الا كان معفوا عنه بالتوبة.. أو لأنه بليغ في قبول التوبة، نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط، لسعة كرمه.

ومن هذه الصيغ أيضا (فعول) كغفور، وشكور، وودود..

• ولقد أطربني قول الحق تبارك وتعالى «**وقليل من عبادي الشكور**» (١٥) فقلت: الحمد لله الذي ما قال (الشاكر)، فان قيل: قوله تعالى: «**انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا**» (١٦).

قلت: ان نعم الله على عباده كثيرة، وكل شكر

القرآن العظيم

بقلم: د. أحمد جمال العمري / القاهرة

يأتي في مقابلتها قليل، وكل كفر يأتي في مقابلتها عظيم، فجاء «شاكر» بلفظ فاعل، وجاء «كفور» بلفظ فعول — على وجه المبالغة.

* قال الزركشي في البرهان، والتحقيق أن صيغ المبالغة على قسمين: احدهما: ماتحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل. والثاني: ما تحصل المبالغة فيه بحسب تعدد المفعولات. ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة، اذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين، وعلى هذا التقسيم يجب تنزيل جميع أسماء الله تعالى، التي وردت على صيغة المبالغة.. كالرحمن، والغفور، والتواب ونحوها. ولهذا قال بعض المفسرين في «حكيم» معنى المبالغة في تكرار حكمه بالنسبة للشرائع».

وقالوا أيضا: ان صفات الله هي صيغة المبالغة كغفار، ورحيم، وغفور، ومنّان، كلها مجاز، اذ هي موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها، لأن المبالغة هي أن تثبت للشيء أكثر مما له، وصفات الله تعالى متناهية في الكمال، لا يمكن المبالغة فيها، كما أن المبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان، وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك.

والوجه الثاني من وجود المبالغة: هو المبالغة بالصيغة العامة في موضع الخاصة.

كقوله تعالى: «**خالق كل شيء**». [١٧]

والوجه الثالث: اخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة. وذلك كقوله سبحانه: «**وجاء ربك والملك صفّاً صفا**» [١٨]

فجعل مجيء دلائل الآيات مجيئا له — سبحانه — على المبالغة في الكلام. ومنه قوله جلّ جلاله: «**فأتى الله بنيانهم من القواعد**» [١٩] أي أتاهم بعظيم بأسه، فجعل ذلك إتيانا له على المبالغة.

أما الوجه الرابع: فهو اخراج الممكن الى الممتنع للمبالغة. أي تجاوز الحد في المعنى، والإرتفاع فيه الى غاية لا يكاد يبلغها. كقوله تعالى: «**وبلغت القلوب الحناجر**» [٢٠] لأن القلوب لا تقارب البلوغ الى الحناجر وأصحابها أحياء.

* وقوله تعالى: «**وان كان مكرهم لتزول منه الجبال**» [٢١] بمعنى لتكاد تزول منه. ونحو قوله عز شأنه: «**ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط**» [٢٢] وهذا انما هو على البعيد، ومعناه لا يدخل الجمل في سم الخياط، ولا يدخل هؤلاء الجنة.

والوجه الخامس: اخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل، والمظاهرة في الحجاج.

* من مثل قوله تعالى: «**وإنا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**» [٢٣] «وانا أو اياكم» أي أحد الفريقين، لعلى هدى أو في ضلال مبين، فبيّن في الابهام تلطفا بهم داع الى الايمان اذ وفقوا له.

وعلى هذا النحو خرج مخرج قوله تعالى: «**أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا**» [٢٤] أي في منازلهم من الجنة، من مستقر هؤلاء المشركين، الذين يفخرون بما أوتوا من عرض الدنيا في الدنيا والآخرة .. جاء على التسليم أن لهم مستقرا خيرا من جهة السلامة من الآلام، لأنهم ينكرون اعادة الأرواح الى الأجسام، فقيل على هذا «أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً».

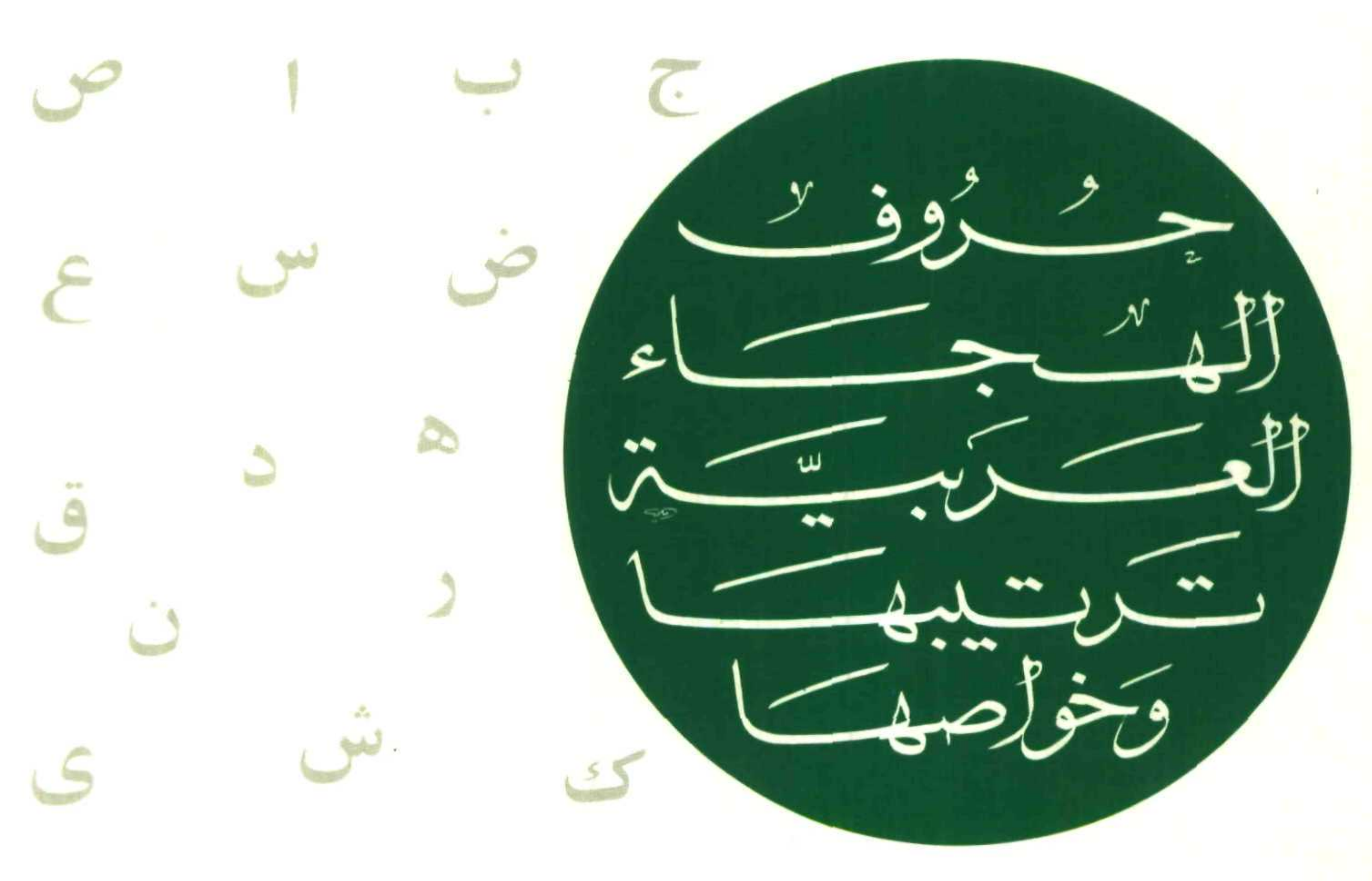
ولنا قول الحق تبارك اسمه: «**وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه**» على التسليم أن أحدهما أهون من الآخر فيما يسبق الى نفوس العقلاء.

* ومن أروع وجوه المبالغة في القرآن العظيم: حذف الأجوبة زيادة في المبالغة. كقوله تعالى: «**ولو ترى اذ وقفوا على النار**» [٢٤] وقوله عز شأنه: **ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب**» [٢٥] وقوله سبحانه: «**ص، والقرآن ذي الذكر**». [٢٦] كأنه قيل: لجاء الحق، أو لعظم الأمر، أو لجاء بالصدق ... كل ذلك يذهب اليه الوهم لما فيه من التفخيم والحذف هنا أبلغ من الذكر، لأن الذكر يقتصر على وجه، والحذف يذهب فيه الوهم الى كل وجه من وجوه التعظيم، لما قد تضمنه من التفخيم.

ان صيغ المبالغة في القرآن العظيم كثيرة حتى ليصعب حصرها، ومن المهم أن نعرف أن صيغ المبالغة بمضمونها ومشمولها انما تشهد بقدرة الحق وعظمته وسر ابداعه لآيات كتابه، كما أبدع كونه، وكما أبدع خلقه □

المراجع:

١— الصناعتين ص/٣٧٨
٢— سورة الحج/٢
٣— سورة النور/٣٩
٤— الاسراء/١١٠
٥— سورة الفرقان/٦٠
٦— سورة مريم/١٨
٧— سورة مريم/٩٢
٨— سورة الأنبياء/٤٢
٩— سورة البقرة/٢١٤
١٠— سورة غافر/٤٢
١١— سورة طه/٨٢
١٢— سورة البقرة/٣٧
١٣— سورة البقرة/١٢٨
١٤— سورة التوبة/١٠٤
١٥— سورة سبأ/١٣
١٦— سورة الانسان/٣
١٧— سورة الأنعام/١٠٢
١٨— سورة الفجر/٢٢
١٩— سورة النحل/٢٦
٢٠— سورة الأحزاب/١٠
٢١— سورة ابراهيم/٤٦
٢٢— سورة الأعراف/٤٠
٢٣— سورة سبأ/٢٤
٢٤— سورة الأنعام/٢٧
٢٥— سورة البقرة/١٦٥
٢٦— سورة ص/١



بقلم: السيد أحمد أبو الفضل / الرياض

ترتيب حروف الهجاء

جرت العادة من قديم أن نذكر حروف الهجاء في التعليم مرتبة ليحفظها المتعلم ويسردها متى طلب منه ذلك .. ولها ثلاثة تراتيب:

الأول: الترتيب القديم المعروف عند أكثر الأمم ولا سيما الأمم السامية كالسريانيين والعبرانيين. وهو ترتيب أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ. وهذه الألفاظ لم يقصد منها الا جمع الحروف في كلمات سهلة الحفظ. وليست أسماء اشخاص كما قيل.

وللمغاربة فيها ترتيب يختلف قليلا عن هذا فيقولون: أبجد هوز حطي كلمن صعفص قرست ثخذ ظغش. ومعنى هذا الاختلاف أن المغاربة يروون الترتيب عن الأمم القديمة على خلاف ما يرويه عنهم المشارقة.

والثاني: ترتيب مخارج الحروف بالابتداء من الصدر ذاهبا الى الشفتين وهو (أوى) أي (حروف المد)، هـ ع ح غ خ ق ك ج ش ى ض ل ر ن ط د ت س ز ظ ذ ث ف ب م و .

وقد جرى على هذا الترتيب الخليل وسيبويه وابن سيدة في كتاب «المحكم» ولكن مع تساهل قليل. فترتيب الخليل في كتاب «العين» هكذا: [١] . ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ى. .

وترتيب صاحب «المحكم» مثله الا أنه جعل حروف العلة هكذا (اى و). وترتيب سيبويه هكذا :، هـ ع ح خ غ ق ك ض ج ش ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م ى ا و.

قال ابن خروف ان سيبويه لم يقصد ترتيبا في الحروف التي من مخرج واحد[٢] .

والثالث: ترتيب نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر العدواني في زمن عبد الملك بن مروان، وهو الترتيب الذي عليه

العمل الآن في البلاد العربية، وجرى عليه أصحاب الصحاح والقاموس ولسان العرب وغيرهم، والمقصود منه ضم كل حرف الى ما يشبهه في الشكل فابتدأ بالألف والباء لأنهما أول الحروف في ترتيب أبجد وعقّبا بالتاء والثاء لمشابهتهما الباء، ثم ذكر الجيم من حروف أبجد وعقبا بالحاء والخاء للمشابهة ثم ذكرا الدال وعقبا بالذال ولكون الهاء تشبه أحرف العلة في الخفاء أخّراها معها لآخر الحروف، وقبل أن يذكرا الزاي ذكرا الراء المشابهة لها لتكون الزاى مع باقي أحرف الصفير، ولذلك ذكرا السين بعد الزاى وعقّبا بالشين للمشابهة، ثم ذكرا الصاد وعقّبا بالضاد، ثم رجعا للطاء من أبجد وعقبا بالظاء، وأخّرا أحرف كلمن حتى يفرغا من الأحراف المتشابهة، وذكرا العين وعقّبا بالغين، ثم ذكرا الفاء وعقّبا بالقاف، ثم ذكرا احرف كلمن والهاء وأحرف العلة.

ولكون ترتيب أبجد يختلف عند المغاربة عن ترتيبها عند المشارقة ، كان ترتيب الحروف عند المغاربة بعد أن ضم كل حرف الى ما يشابهه في الشكل هكذا : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ى.

خواص الحروف العربية

للحروف العربية خواص لم تجتمع في غيرها من حروف اللغات الأخرى وان وجد بعضها فلا يوجد الآخر، والقصد من سردها بيان أحكام وضع الحروف العربية لا الحط من شأن حروف اللغات الأخرى وهي:

• ان مسمياتها دائما في صدور أسمائها فصدر كلمة ألف (ء) وصدر كلمة باء (ب) وصدر كلمة جيم (ج) وهكذا الى آخر الحروف بخلاف اللغات الأجنبية مثلا فان مسمياتها تارة تكون في صدورها كبي، سي، دي، وتارة تكون في اعجازها مثل إف إل إم إن آر إس، وتارة تكون عين الاسم مثل اكس، وتارة تكون خارجة عن الاسم بالمرة مثل اتش.

• ان كل حرف لفظي بسيط له حرف كتابي بسيط بخلاف اللغات الأجنبية مثلاً فان الشين تكتب فيها CH أو SH ، والفاء تكتب في بعض الأحيان PH ، والف الممالة تكتب في بعض الأحيان AL والهمزة المضمومة تكتب OU ، وألف التفخيم تكتب أحيانا AU وأحيانا EAU .

• عكس ذلك وهو أن كل حرف كتابي بسيط له صوت بسيط ، بخلاف اللغات الأجنبية مثلا فان حرف X ينطق به اكس وحرف Z ينطقها الألمان تْس والطليان تْز.

• ان كل حرف صوتي يصور بصورة واحدة مهما كانت حركته وتميز الحركة بالشكل بخلاف اللغات الأجنبية فان الفاء تارة تصور F وتارة PH ، والسين تارة تصور S وتارة C وتارة X والكاف تصور K وتارة Q .

والألف اليابسة في العربية همزة لا على شيء كملء وبطء وردء أو على ألف كرأس، أو واو كسؤل أو ياء كذئب، وفي اللغات الأجنبية تكتب هكذا:

a â i y ou o au eau e é è ê aı ay u e eu oeu

ولكل حرف من حروف اللغة الحبشية صور متعددة بقدر عدد حركاتها ولا يختص ذلك بالألف اليابسة بل يشمل غيرها من الحروف. ويستثنى من ذلك الألف اللينة فانها تكتب أحيانا ياء وذلك في ألفاظ محصورة: الى، على بل حتى أنّى متى لدى الأولى موسى عيسى كسرى بخارى. وكل ثلاثي أصل ألفه ياء كرمى الفتى وسعى للأذى، وكل مازاد على ثلاثة أحرف كأعطى مصطفى واقتضى الهدى، ومن العلماء من لم يستثن ذلك.

• عكس ذلك وهو أن كل صورة كتابية لها نطق واحد بخلاف الحروف الأجنبية مثلا فان حرف C تارة ينطق به سينا وتارة كافا وحرف T تارة ينطق به تاء وتارة ثاء، ويستثنى من ذلك الياء فانها ينطق بها في بعض الأحيان ألفا.

• ان مايقدم في الكتابة يقدم في النطق وما يؤخر فيها يؤخر فيه، بخلاف اللغة الفرنسية مثلا فان النون في لفظ منتيزم مع تقديمها في التلفظ على الياء تؤخر في الكتابة عن الحرف الموضوع بدل الياء وهكذا وفي لام الألف المضفورة هكذا Y خلاف. قال الأخفش ان الجزء الأيمن هو اللام والأيسر هو الألف، والجمهور على عكس ذلك، والذاهب الى اليمين من الألف هو جزءها الأعلى فقط ولكن العبرة بأسفلها.

• انه لا يهمل من الحروف المكتوبة شيء بل كل ما يكتب يقرأ مع مراعاة الابتداء والوقف بخلاف اللغات الأجنبية فان الكلمة يوجد فيها حرف أو حرفان أو ثلاثة لا نطق لها مثل كلمة BOUGHT الانجليزية بمعنى: (اشترى) فان فيها ثلاثة أحرف لا لفظ لها، ومثل كلمة: NEIGHBOUR بمعنى (جار) ففيها ثلاثة أحرف لا لفظ لها. ويستثنى من ذلك الألف بعد واو الجماعة فانها زائدة نحو كلوا واشربوا ولا تسرفوا، وفي الروى المفتوح نحو: لكل امرىء من دهره ما تعودا، والواو في عمرو.

• العكس وهو أنه لا يهمل شيء من الحروف الملفوظ بها، بل يكتب كل ما يلفظ به بخلاف الانجليزية مثلا كلفظ كيرنل

فانها تكتب COLONEL ولا وجود لحرف الراء، وكلفظ لِفْتِنَنْت LIEUTNENT فأنهم لا يكتبون فيه الفاء. ويستثني من ذلك الألف في ألفاظ معروفة كثيرة الاستعمال مثل الله، الرحمن، الاله، ذلك، هذا، لكن ، والواو في داود وطاوس ونحوهما.

* صلاحيتها للحساب بدل الأرقام حتى كأنها وضعت لهذا القصد لأن فيها تسعة أحرف للآحاد، وتسعة للعشرات، وتسعة للمئين، وحرفا للألف.

فللاحاد:

ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩

وللعشرات:

ى	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠

وللمئين:

ف	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠

وللآلف:

غ
١٠٠٠

واذا زاد على ألف كرروا الحروف، فخمسة آلاف ه غ، وأربعون ألفا م غ. وعند المغاربة للآحاد ا ب ج د هـ و ز ح ط

وللعشرات ى ك ل م ن ص ع ف ض
٩٠ ٦٠

وللمئين ق ر س ت ث خ ذ ظ غ
٣٠٠ ٨٠٠ ٩٠٠

وللألف ش.
١٠٠٠

بل فضلها بعضهم على الأرقام لسهولة الحفظ وللاختصار، وعلى ذلك جرى علماء الفلك وأصحاب الأزياج الى الآن، الا فيما هو منقول عن أوربا فيقولون ان بعد منطقة البروج عن دائرة المعدل كجـ كح أي ٢٣ درجة و ٢٨ دقيقة.

واذا كتبت مو، كه، لذ، يب، كان معناه ٤٦°، ٢٥°، ٢٧°، ١٢° ولا يحصل ضرر من تقارب الحروف كما يحصل من تقارب الأرقام.

وقد ألف المتقدمون أراجيز وقصائد في علم الفلك استعملت فيها الحروف بدل الأرقام، ولولا ذلك ما سهل حفظها والانتفاع بها، فمن ذلك قول بعضهم في منظومة طويلة يضبط أرصاد ابن يونس الفلكي المصري رئيس المرصد الحاكمي.

دقائق اختلاف رأس الجدى لب
وخمسة فزد لها وما عقب
الى ابتداء السرطان فهي سب
ومنه فانقص خمسة لعود لب
فذي الدقائق التي تزاد في
نصف لقوس من نهار فاعرف

ودقائق الاختلاف هي الفرق بين مرور الشمس بالأفق المرئي وبين مرورها بالأفق الحقيقي، ولا يخفى أن الأفق المرئي أسفل من الأفق الحقيقي الذي يقسم الكرة الى قسمين متساويين.

ومن استعمالها في الحساب ضبط تواريخ الحوادث الشهيرة بألفاظ لطيفة قصيرة كقول السيد علي الليثي في تاريخ ميلاد الجناب الخديوي: توفيق باشا بكره العباسي. أي سنة ١٢٩٠ هـ، وقد سئل بعض الظرفاء عن تاريخ موت السلطان برقوق فقال: في المشمش ومعنى ذلك أنه مات سنة ٨٠١.

ولها استعمال آخر في الحساب بمراعاة المهمل والمعجم بقطع النظر عن حساب الجِمّل مثال ذلك ما يذكر في علم الميقات من أن كل ثلاثين سنة هجرية احدى عشر سنة كبيسة عدد أيامها ٣٥٥ يوما وهي الثانية والخامسة والسابعة والعاشرة والثالثة عشرة والخامسة عشرة، والثامنة عشرة والحادية والعشرون والرابعة والعشرون والسادسة والعشرون والتاسعة والعشرون، نظمها بعضهم فقال:

كف الخليل كفه ديانه عن كل خل حبه فصانه

فالحرف المهمل يدل على السنة البسيطة والمعجم يدل على السنة الكبيسة والبيت كله ثلاثون حرفا فيه أحد عشر حرفا معجما مرتبة ترتيبا مخصوصا، فاذا سئلت عن سنة ١٣٢٨ أبسيطة هي أم

كبيسة؟ فاطرح سني التاريخ ثلاثين ثلاثين فيبقى ثمانية مر بها حروف البيت فثامن حرف وهو اللام الأخيرة من خليل بسيطة فالسنة المذكورة بسيطة.

مثال آخر: يقال ان ملاحا كان في سفينته ثلاثون مسافرا نصفهم من بلده والباقون غرباء، وبينما هو في عرض البحر اذ اشتد عليهم النوء وأشرفت سفينته على الغرق وتأكدوا أن لانجاة لهم الا اذا ألقي نصفهم في البحر، ولكنهم لم يتفقوا على طريقة عادلة فتأمل الملاح لترتيبهم في الجلوس وقال الطريقة أن نعد من واحد الى تسعة ونرمي التاسع، وهكذا حتى نرمي نصف الموجودين فلم يعارضوا ظنا منهم أن ذلك موكول للمصادفة، ففعل ذلك وخرج في القرعة جميع الغرباء ولم يلق أحد من أبناء جنسه فكيف كان ترتيب جلوسهم؟

الجواب أن ترتيبهم كان كترتيب حروف هذا البيت.

الله يقضي بكل يسر ويرزق الضيف حيث كان

فالحرف المعجم يدل على الغريب والمهمل يدل على القريب.

* انها تكتب وتقرأ من اليمين الى اليسار كالسريانية والعبرانية بخلاف الحروف الاجنبية فانها تكتب وتقرأ من اليسار الى اليمين، وبخلاف الحروف المصرية القديمة (الهيروغليفية) فانها وان بدىء بها من اليمن في أول سطر يجوز أن يبدأ بها في السطر الثاني من اليسار، وهكذا يبدأ كل سطر من حيث انتهى السطر الذي قبله. وبخلاف الحروف الصينية فانها تكتب من أعلى لأسفل، وليس غرضنا تفضيل اليمين على اليسار بل بيان الاصطلاح العربي في ذاته.

* ان كل حرف من حروفها صالح لأن يتصل به ماقبله وما بعده الا سبعة حروف ليست صالحة لأن يتصل بها ما بعدها يجمعها قولك (زُ رْ ذَ ا وُ دًّ) وبسبب صلاحية الحروف للوصل كتبت حروف كل كلمة متصلة بعضها ببعض وانفصلت كل كلمة عن الأخرى (٣) وبذلك يستغني عن رسم خط رأسي بين كل كلمة وأخرى كما في الخط المسند أو ترك جزء من القرطاس أبيض كما في الخطوط الافرنجية، وسبب رسم الخط أو ترك البياض انفصال الحروف بعضها عن بعض فلا يعلم أن الكلمة انتهت وابتدأ غيرها الا بعلامة، ولهذا السبب تكون الكتابة العربية أقرب للاختزال وأبعد عن الاسراف.

* انك اذا قطعت النظر عن أحرف المد تجد الباقي ٢٨ حرفا يمكن أن يتألف منها أكثر من اثني عشر الف كلمة، كما يتضح ذلك من الاطلاع على كتاب العين للخليل بن احمد، وبذلك اتسع مجال الوضع وبعدت الألفاظ عن الاشتباه والاشتراك بقدر الامكان، بخلاف اللغات الاجنبية مثلا فانك اذا قطعت النظر عن حروف الحركات تجد الباقي تسعة عشر حرفا، وبذلك كان مجال الوضع ضيقا وعدد ألفاظها أقل، ويكثر فيها الاشتباه والاشتراك. ولذلك كان من الضروري فيها اكثار الحركات ليمكن بمراعاتها تأليف كلمات كثيرة من الحروف القليلة، وتسد بذلك جزءا من النقص الطبيعي الذي نشأ من قلة حروفها.

وليس غرضنا من تعديد هذه المزايا لحروف اللغة العربية الحط من شأن غيرها من اللغات، وانما غرضنا الرد على المفتونين ببعض اللغات الأجنبية الجاهلين العربية، في زعمهم أن العربية أصعب مراسا وأبعد منالا، وهم لو أعطوها من العناية أقل مما أعطوه لغيرها لعرفوا أنها في غاية الاحكام □

الهوامش

(١) كتاب «العين» هو أول كتاب ألف في متن اللغة جمع فيه صاحبه ١٢٣٠٥٤١٢ كلمة بعضها مستعمل وبعضها مهمل، والذي حدا به لذكر المهمل هو استيفاء التقاسيم العقلية لكل كلمة، فمثلا كلمة (مدح) يحتمل في الميم الفتح والضم والكسر، ويحتمل في الدال الحركات الثلاث والسكون وثلاثة في أربعة باثنتي عشرة، فيذكر الاثنتي عشرة صورة، ويقول هذه الصورة مستعملة لمعنى كذا، وهذه الصورة لم تستعملها العرب. واختصره أبو بكر الزبيدي فحذف المهمل، وانما سمي كتاب العين من باب تسمية الشيء بأول أجزائه، كما سمي كتاب أبي تمام بالحماسة، قال الخليل في كتابه المذكور لم أبدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل الا زائدة أو مبدلة ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها، فنزلت الى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت «العين» أنصع الحرفين فابتدأت بها ليكون أحسن في التأليف.

(٢) ابن خروف: هو محمد بن على القرطبي القيسي شارح كتاب سيبويه، توفي بحلب سنة ٦٠٥، وله شعر رائق، فمن شعره في وصف النيل قوله:

ما أعجب النيل ما أبهى شمائله ... في ضفتيه من الأشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع ... تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا ... وانما هي أرزاق وأربـــــــاح

(٣) سواء أكانت الكلمة حقيقية نحو: كل مجتهد فائز، أو في حكم الكلمة الواحدة نحو: قمت وقمنا وأكرمتها وبعلبك وأربعمائة. والقاعدة أن الكلمة التي لايصح الابتداء بها كالضمير المتصل، اولا يصح الوقف عليها كأول المركب المزجي تعتبر كجزء كلمة.

جورج صيدح

الشاعر المهجري: بين الأمانة التاريخية والوطنية

بقلم: الاستاذ عدنان الداعوق / الرياض

عندما أردت أن أقف على تاريخ الحركة الأدبية في المهجر، لم يكن أمامي سوى كتاب «أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية» الذي وضعه الشاعر الناثر والمؤرخ «جورج صيدح».

ولم يكن هذا شأني وحدي، بل كان شأن العديد ممن أراد أن يتعرف الى الأدب المهجري من خلال تطوره ومذاهبه ومدارسه، شعرية كانت أم نثرية. وكتاب «أدبنا وأدباؤنا» يعتبر بحق دائرة المعارف الأدبية للحركة الفكرية في المهجر، وقد عكف عليه «جورج صيدح» وسجله بمنتهى الأمانة التاريخية، مبرزا فيه تلك الشعلة التي توهجت في المهجر وراحت تضيء مرسلة نورها وضياءها الفكري عبر القارات، واصلة الى الشرق العربي ناقلة أروع النبض الفكري في تاريخنا الأدبي الحديث.

ولقد راودتني فكرة الكتابة للشاعر «جورج صيدح» منذ وقت بعيد، لاسيما بعد أن تفضل باهدائي مؤلفه النفيس هذا دون سابق معرفة[1]. ولم يتيسر لي ذلك الا في عام ١٩٦٧م.. فقد كنا نقيم في مدينة حمص حفلة تأبينية للأديب المهجري الراحل «نظير زيتون»، ووجدت أن يشارك معنا «صيدح» بكلمة عن صديقنا المهاجر الذي قضى في الوطن.

كتب الي «صيدح» بفرنسا، مغتربه الثاني، رسالة، وبعد أيام قليلة وردتني رسالته الجوابية من «فيشي»

بعد السلام والاكرام..

لقد تبعتني رسالتك الكريمة الى مغتربي الصيفي بفيشي، فطال طريقها وتأخر وصولها، أما مضمونها فقد طيب نفسي بعطر وفائكم لذكرى أخ أحبه وأجله، وأديب نابه عم فضله، آجركم المولى على مسعاكم النبيل.

أما اشتراكي معكم فواجب علي ومحبب لدي لولا نكبة الأمة التي قصمت ظهري وشلت فكري منذ الخامس من حزيران لسمعتم صوتي نائحا عليه قبل حفلة التأبين، انني اليوم لا اصلح للتفكير والتحرير أو لقول الشعر، ولن أعود بشرا سويا واعيا الا متى عادت فلسطين الى أهلها، ورغم ذلك جلست الى مكتبي ساعة استوحى عواطفي الحزينة، وأجمع النثرات الخاطفة من خاطري الكسير في وريقات أرسلها اليك طي كتابي، طامعا فيك عن قصوري بشفاعة ظروفي .. ان القليل من هزيل الكلام خير من الصمت أو الغياب عن هذا المقام.

جورج صيدح

وأرفق (صيدح) مع رسالته هذه قصيدة قصيرة يقول فيها:

عقدت حمص للفقيد الكبير ... مأتما قد عقدته في ضميري
ودعتني الى رثاء فتاها ... أفأرثي مصيره، أم مصيري؟
نحن قلبان توأمان وقانا ... من جفاء النوى عناق الشعور
حبه كان واحة ظللتني ... وشفتني من الظما في الهجير
وأرتني كيف اليراع يصلي ... ويجلي على بيان العصور
ثكلته أم اللغات فسالت ... أدمع الضاد من جفون العشير
لن أعزي به ولن أتعزى ... ألم الخطب فوق صبر الصبور
يا نظيري في غربتي ومآلي ... ما أمرّ الحياة دون (نظير)

كانت رسالة «صيدح» هذه أول لقاء يتم بيننا، فتم التعارف واستمرت الصلة وتعمقت الى أن وافته المنية بعيدا عن وطنه في باريس عام ١٩٧٩م، وخلال الاثني عشر عاما لم تنقطع الصلة بيننا، بل ظلت الرسائل موصولة حتى زادت في أوراقي الخاصة على أربعين رسالة وعشرات من القصائد التي لم تنشر، أحنو على كل هذه الأوراق وأضمها في وداد، لعل الأيام الآتية تيسر لي نشرها في كتاب، فأكون قد وفيت صاحبها رغبته في أن لا أنشر عنه ذلك الا بعد وفاته.

وأنا ان رجعت الى ذكرياتي وأوراقي القديمة لأبحث في ثناياها عن تلك الصلات القديمة والحميمة التي جمعت أدباء المهجر بعضهم الى جانب بعض فوق أرض غريبة، بعيدين كل البعد عن الوطن، لرأيتهم هناك وقد أنشأوا وطنا ورفعوا علما، وبنوا صرحا شامخا من الحضارة والفكر، وأغنوا اللغة العربية بروائع الآثار التي ما تزال موضع التقدير والاعجاب حتى اليوم.

لكنهم، على الرغم من طيب الموارد، وجفوتها في غالب الأحيان، كانوا يبكون العودة ويرتجون الرجوع من الهجرة والاغتراب، ولعل هذا كان الدافع الأساسي والمباشر لتكتلهم هناك جميعا، فمنهم — وهم قلة — من عاد من الغربة محققا آخر الأحلام: بالموت فوق تراب الوطن، ومنهم من ظل يبكي الغربة معتصر القلب توجعا وحسرة، فكان الموت أقرب اليهم من أحلام العودة.

فبكى الشاعر «نسيب عريضة»[2] بكاء كل المهاجرين المغتربين العرب، وعبر عن حزن مقيم وألم ممض دفين وتوجع لا يستكين. فقال بلسانهم جميعا:

يا دهر قد طال البعاد عن الوطن
هل عودة ترجى وقد فات الظعن
عد بي الى «حمص» ولو حشو الكفن
واهتف أتيت بعاثر مردود
واجعل ضريحي من جمار سود[3]

وأما «جورج صيدح» نفسه، فيصفه الشاعر «محمد عبد الغني حسن» في كتابه «الشعر العربي في المهجر» بانه:

«يمثل المغترب الحنون أصدق تمثيل، فهو على طول اقامته بدار الغربة واحتمال الاندماج والتأقلم فيها، لا يزال يحن الى مغانيه الأولى ومدارج طفولته فهو: وتر ذلك العود الرقيق الحنون الذي تثيره الذكريات الى أرض الوطن، فيهفو اليها في شعره الرقيق الجميل».

وها هو في قصيدة «حنين الى دمشق» يقول بقلب مجرَّح ونفس حرَّى:

ذكرتها نائيا والدمع هتّان
أم تناست بنيها حالما بانوا
في قلبها من ندى أجوائها شم
وفي فؤادي لذاك القلب نيران
شتى الموارد يجري بين أنهرها
من الحنو على الأهلين غدران
الدهر أوردنيها ثم أصدرني
كأنه لجوى الظمآن ظمآن
لم يغنني فيضان «النيل» عن وشل
منها ولم يردني في «السين» طوفان
دمشق، ان قلت شعرا فيك ردده
قلبي كأن خفوق القلب أوزان
أنا وليدك يا اماه كم ملكت
ذكراك نفسي وكم ناجاك وجدان
أنا عليل النوى لا برء ينعشني
الا نسيم عليل منك ريان
منذ افترقنا نعيم العيش فارقني
والهم والغم أشكال وألوان
حسبي من الوجد هجران منيت به
وحسبك العهد لا يبليه هجران[4]

ويشبه «صيدح» المغترب: بالوردة التي نثرتها الرياح وبعثرتها الأقدار، وألقت بها في مستنقع الغربة الكئيب، انه واحد من أولئك النازحين المغتربين الذين عادوا — اذا عادوا — لفترة وجيزة جدا من الزمن، على كبر من السن وفي أيديهم ندوب الجراح، وعلى وجوههم آثار الكفاح أو كأنهم:

رجعوا كالجند من معركة
باد فيها جيشهم الا بقايا
تركوا الجرحى الأسارى خلفهم
والضحايا، رحم الله، الضحايا
ما سمات النصر في جبهتهم
غير آثار حراب وشظايا
كل ما نالوه من غاراتهم
لا يوازي ما أضاعوا من مزايا
رب كهل عاد منهوك القوى
كان قبل البين طلاع الثنايا

لقد نمت فكرة الوطنية عند المغتربين في مهاجرهم، فتجلت عند الشعراء والكتاب وبرزت فوق أي غرض آخر.

فكيف تمكن هؤلاء من الاحساس — على الرغم من بعدهم عن الوطن — بمصائب الأمة والنكبات التي حلت بالأوطان؟

ان شفافية المهجريين ورقة أحاسيسهم، والتأجج الدائم لحب الوطن هو الذي زادهم تعمقا بالنكبات والمصائب، ففي عام ١٩٤٨م، عام النكبة الأولى، يصيح الشاعر «جورج صيدح» في مدينة «بونس ايرس» منشدا:

وطني، مطلع أنوار الهدى
بلدي، ما أنت للذل بلد
أو تغدو وتدا للمعتدي
أين شأن العرب من شأن الوتد
لا تطل عمري الى يوم به
تحكم الجرذان في غاب الأسد

لكن الأحداث الأليمة تتوالى على الأمة العربية، وتتعاقب النكسات، وها هو ذا من «فيشي» بفرنسا يكتب الي رسالة مؤرخة في ١٩٧٦/٩/١٦م، يقول فيها:

«... اني عائد اليوم من جنيف الموبوءة بأنفاس اليهود، ولولا اضطراري لتسفير حفيدي من مطارها ما وطأت أرضها..».

وألمح في رسالته الطويلة الحزن والمرارة وسوء الحالة الصحية، فما أن أرد على رسالته حتى يأتي جوابه أكثر حزنا ومرارة، فهو يقول:

«.. لقد مرّ العيد وأنا حزين حدادا على ما فقدنا من كرامة واحساس وآمال.. ان أزمتي الصحية على وشك الزوال. أما أزمتي النفسية فلم تزل حادة تؤرقني وتعذبني، وأنكى ما فيها خلوها من باب فرج الى مستقبل أفضل..»

لم يقصر الشاعر «جورج صيدح» يوما، منذ نكبة عام ١٩٤٨ في حض أمته الى الثأر والنهوض من العثرات، وهو الذي لا يفتأ يردد باستمرار:

(كأننا لم نتعلم شيئا من مصائب تتوالى على أمتنا بانهيار الأوطان وزوال الكيان)، بل كان حتى آخر أيام حياته ذلك الوطني الذي أسمع صوته للغرب قبل الشرق، مدافعا عن الحق العربي واضعا الوطنية فوق كل اعتبار.

انه الصوت المدوي منذ أن كان في فنزويلا، الى البرازيل والأرجنتين وباريس، ومن قبل دمشق والقاهرة وبيروت.. ندوات واجتماعات في عواصم العالم لشرح القضية العربية، ومقابلات على كل المستويات، ومقالات بلغات مختلفة في الصحف والمجلات، ولقاءات في الاذاعات والتلفزيونات كلها عن القضية العربية، وحق الانسان العربي، على الرغم من الشيخوخة التي تثقل كاهله والمرض الذي يهدده باستمرار. انه الشاعر الوطني الذي ظل حتى آخر أيامه قلبا ينبض، وحسا يتوهج.. وما أصدق ما قال فيه الشاعر «ايليا ابو ماضي»:

يا شاعرا غنَّى فرد لي الصبا
فاذا مواكبه تسير أمامي
أنا التقينا في الشباب وفي الهوى
وفي حومتين: الشعر والالهام
وسنلتقي وان افترقنا في غد
في حب لبنان وحب الشام
«الصيدح» الغريد في أنغامه
عبق الورود ونضرة الأكمام
هو ان ذكرت الشعر من أمرائه
واذا ذكرت المجد فهو عصامي

هوامش:

١— الطبعة الاولى، القاهرة ١٩٥٦
الطبعة الثانية، بيروت ١٩٥٧
الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٦٤

٢— نسيب عريضة: شاعر حمصي مغترب هاجر الى أمريكا الشمالية، وأسس مجلة الفنون وكان من أعضاء الرابطة القلمية، وكانوا يسمونه: دائرة المعارف العربية في المهاجر الأمريكية.

٣— «حمص»، وتسمى «أم الحجار السود» لكثرة ما فيها من أحجار بركانية بازلتية سوداء.

٤— قصيدة نظمها في باريس عام ١٩٢٥.

لاهور.. عَرُوس

محكمة لاهور تعكس نمطا فريدا من العمارة



مقاطعة البنجاب

سليمان نصر الله / هيئة التحرير



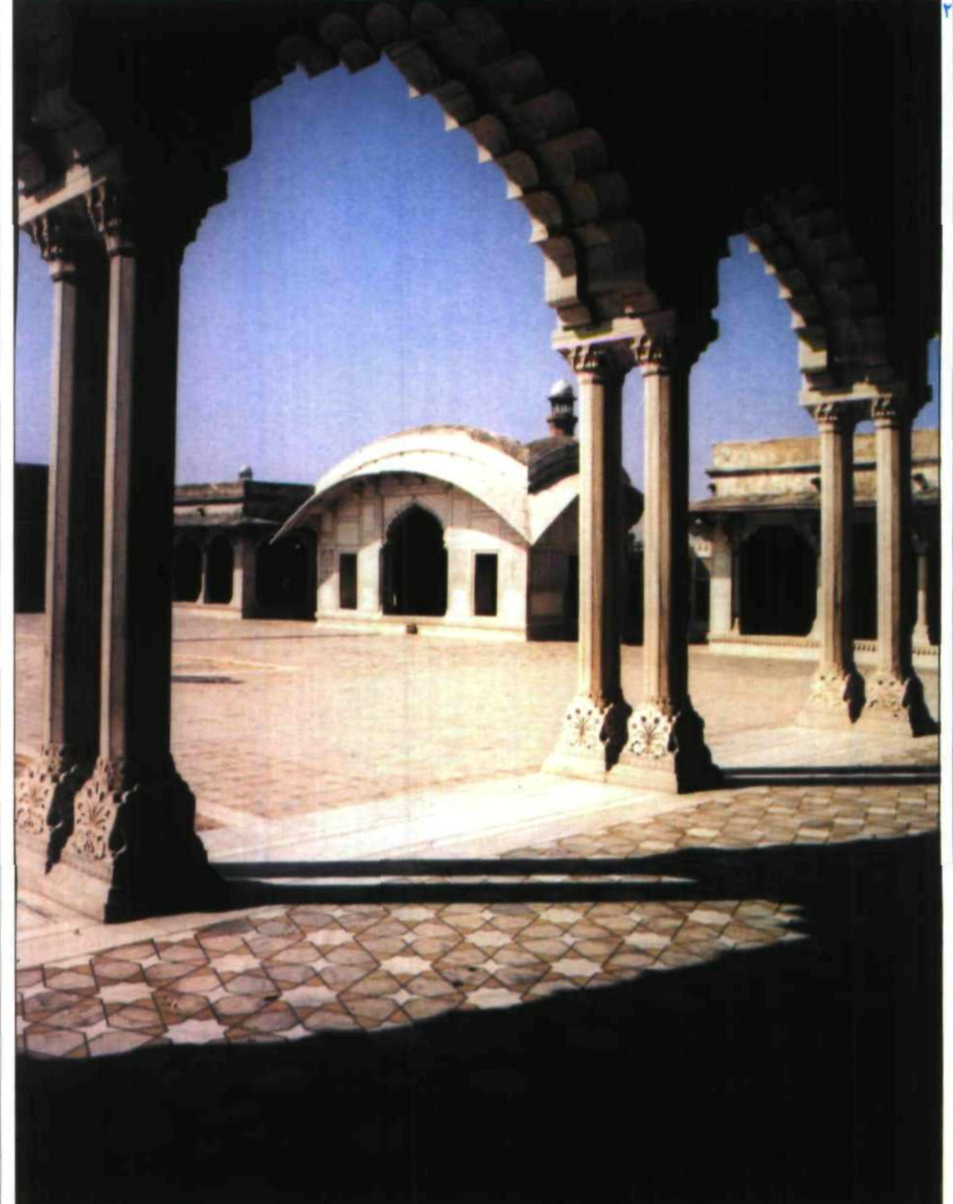
على ضفاف نهر "رافي"، أحد الأنهار الخمسة في مقاطعة البنجاب، تتربع لاهور، ثانية أكبر مدن الباكستان، التي كانت فيما مضى مقرًا ومنتجعًا للأباطرة المغول في عصرهم الذهبي. وهي تضم في جنباتها اليوم معالم تاريخية بارزة، تعكس شيئًا من تلك الحقب التي عاشتها هذه المدينة، أبان حكم الأباطرة المغول.

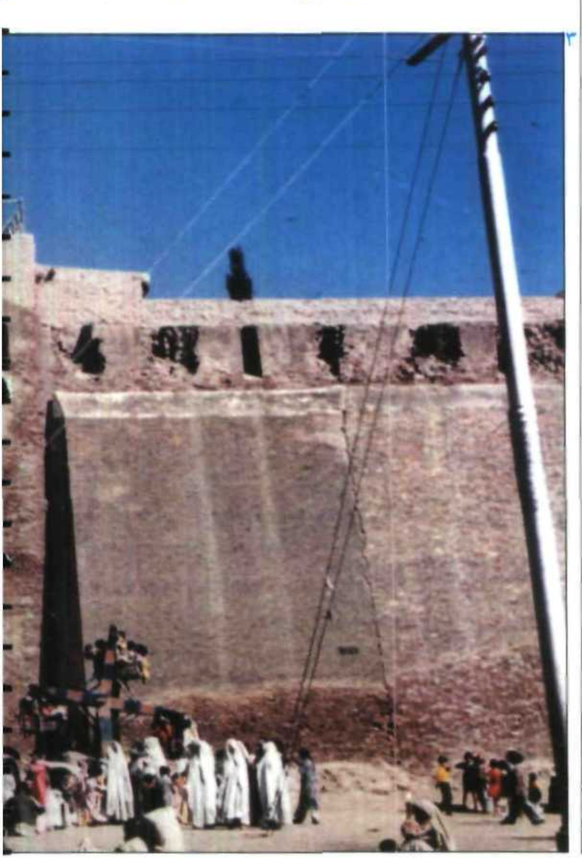
تقع لاهور في مقاطعة خصبة، يجري فيها نهر السند بروافده الكثيرة، يطلق عليها البنجاب، أي مقاطعة الأنهار الخمسة، اذ تعني كلمة «بنج» خمسة، وكلمة «آب» نهر. وهذه الأنهار الخمسة هي رافي، وتقع عليه مدينة لاهور، وجهلم وجناب وبياس وستلج. وعلى ضفاف نهر السند نشأت منذ خمسة آلاف سنة، حضارة وادي السند، المتمثلة في أطلال مدن كثيرة قامت عليه كمدينة «موهنجودارو» و «هربه» و «شوكاندي» و «لابولكا» و «أماكاتيس» و «تاكسيلا» وغيرها. وهي مدن تدل آثارها على تخطيط هندسي رفيع المستوى، من حيث الشوارع المنسقة والبيوت المبنية بالطوب الأحمر، والحمامات العامة، والمدرجات، والقنوات الممتدة تحت الأرض. وقد عاصرت حضارة وادى السند أقدم الحضارات التي قامت في مصر وبلاد مابين النهرين والصين، مما جعل مدينة لاهور، التي يبلغ تعداد سكانها حاليا نحو ثلاثة ملايين نسمة، تتمتع بتاريخ غني عريق، تمتد جذوره الى مايربو على الألفي سنة. كما أنها تمتاز بموقع استراتيجي. فقد اجتذبت ضفاف نهر السند منذ فجر التاريخ، العديد من الهجرات والغزوات المتعاقبة، من أواسط آسيا، والشرق الأوسط، وأوروبا، عبر الممرات الجبلية المنيعة في الشمال الغربي من الباكستان، التي كانت بمثابة بوابة ضخمة، تدفقت عبرها موجات الغزاة. فقد كشفت الحفريات، التي

أجراها علماء الآثار مؤخرا في هذه المنطقة، عن حضارة متطورة ازدهرت في حوض السند منذ نحو خمسة آلاف سنة. ليس هذا فحسب، بل ان بقايا الانسان القديم، التي كشف النقاب عنها منذ فترة وجيزة في هذه البقعة، والتي تعود الى نحو عشرة ملايين سنة، في تقدير علماء الآثار والباحثين والمؤرخين، تجعل المتتبعين لقصة ظهور الانسان الأول على وجه الأرض، يعتقدون بأن هذه المنطقة قد تكون هي الموطن الاول للانسان القديم.

وتشير المصادر التاريخية الى أن الآريين، الذين للغتهم صلة بلغات الشعوب الأوروبية القديمة، قد وفدوا الى هذه البقعة واستقروا فيها حوالي سنة ١٥٠٠ ق.م. حيث طوروا الثقافة الهندية في شبه القارة بأكملها، وتغلبوا على الشعوب الأخرى فيها. والمعروف تاريخيا ان الاسكندر المقدوني وجه أنظاره نحو الشرق، الذي ينعم بخيرات وفيرة من الحرير والتوابل والأحجار الكريمة، فجند حملته المشهورة على الشرق عام ٣٢٥ ق . م . فاجتاز ممر خيبر المشهور، على مقربة من مدينة «بيشاور» على الحدود الباكستانية الأفغانية. وتوغل في شبه القارة الهندية، حتى بلغ نهر «بياس» في

١


٢


٣


مقاطعة البنجاب، غير أنه لم يستطع التوغل أبعد من تلك النقطة، مما اضطره الى تجهيز رحلة العودة. والجدير بالذكر أن الكاتبة الاسكتلندية «جين ماكلستر فيرلي — Jean McAllister Fairley »

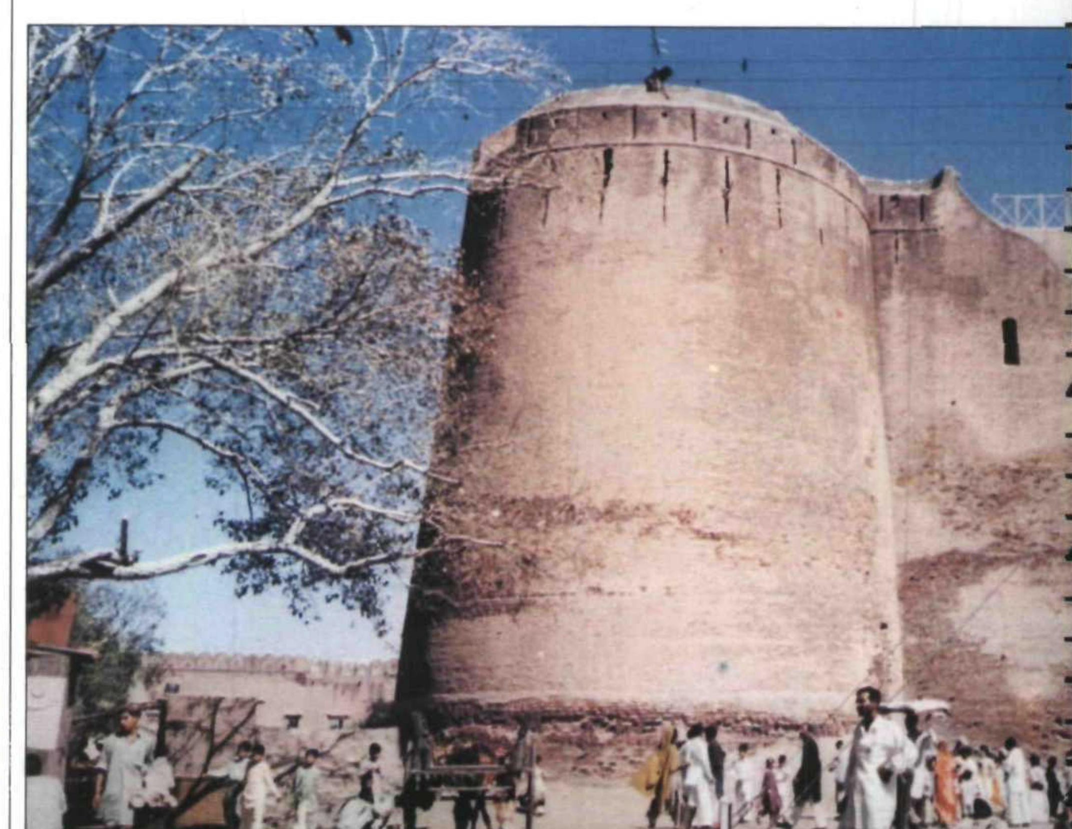
أوردت نبذة عن حملة الاسكندر المقدوني، مبنية على ماروراه المؤرخ المشهور «بلوتارخ — Plutarch »، الذي أرخ لتلك الحملة. وقد عاشت هذه الكاتبة في الباكستان مدة سنتين، درست خلالها نهر السند من منبعه في عين «فم الأسد» في هضبة التبت حتى مصبه في البحر العربي الى الجنوب الشرقي من مدينة كراتشي. وتكمن قيمة تلك الدراسة، علاوة على أنها عمل أدبي رفيع، في أهميتها من النواحي التاريخية، والجغرافية، والاقتصادية، والاجتماعية، مما يلقي بعض الأضواء على مدينة لاهور، حاضرة مقاطعة البنجاب. فعندما بلغت فيالق الاسكندر المقدوني نهر السند، سمع بمملكة «تاكسيلا» الواقعة على تخوم الضفة الشرقية من النهر، فأعد العدة لاجتياحها. فما كان من ملكها «تاكسيليس»، الذي وصفه المؤرخون بالذكاء والحكمة وبعد النظر، الا أن توجه للقاء الاسكندر، وبعد تبادل التحيات خاطبه قائلا: ماالداعي الى الحرب بيني وبينك، اللهم الا اذا كنت قد أتيت فقط لتسلبنا ماءنا ومقومات حياتنا، تلك التي يحارب من أجلها الرجال؟ أما اذا كنت قد أتيت من أجل الذهب والفضة، فان كنت أكثر ثراء منك فأنا مستعد لتقديم جزء من ثروتي لك، وان كنت اقل منك ثراء فلا مانع لدي من أن أطمع في كرمك. وهنا أعجب الاسكندر أيما اعجاب بصراحة «تاكسيليس»، وتبادلا الهدايا الثمينة، واتفقا على أن يقوم ملك «تاكسيلا» ببناء جسر من القوارب على النهر لتعبر عليه جيوش الاسكندر، فتم له ذلك، وعبرت جيوشه النهر، ثم أقيمت المهرجانات والولائم للاسكندر. ثم تقدم الاسكندر بجيوشه شرقا فقطع نهر «جهلم» ومنه الى نهر «جناب» ونهر «رافي»، الى أن وصل نهر «بياس»، الذي حال دون تقدم جيوشه فقرر العودة الى بلاده بعد أن قام باستكشاف نهر السند.

لقد كان لحملة الاسكندر المقدوني على الشرق أثر عميق من حيث امتزاج فن النحت الاغريقي بفن النحت البوذي، فنشأ عنهما فن ذو سمات خاصة قائم بذاته تأثر به فن العمارة الاسلامية المغولية فيما بعد، وهو أمر نراه جليا في المعالم الأثرية الباقية في مدينة لاهور.

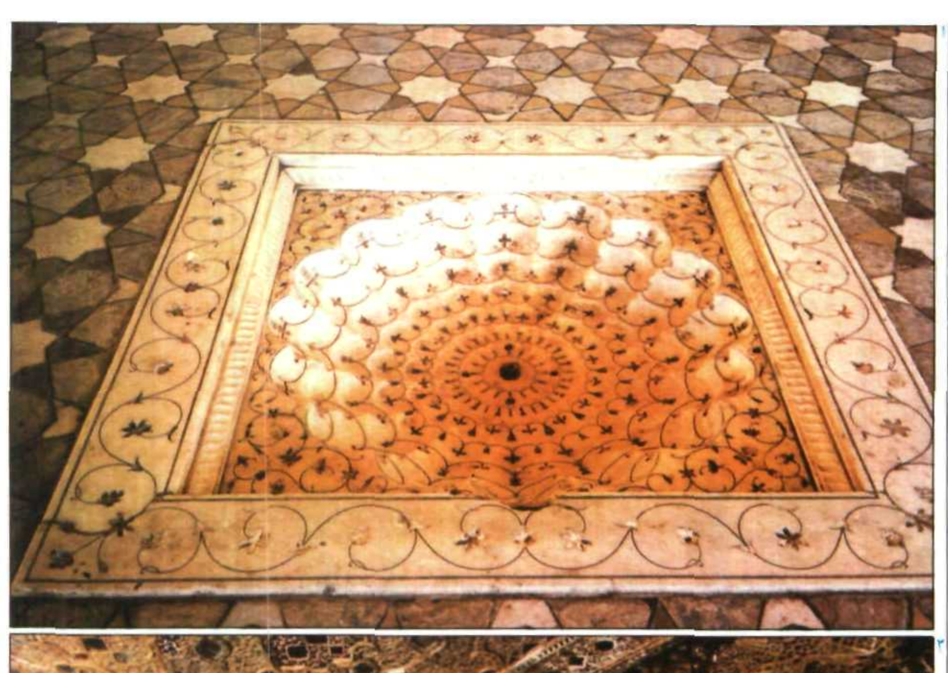
وبعد حملة الاسكندر بنحو ألف سنة، جاء العرب الى هذه البلاد يحملون اليها أسمى رسالة سماوية، ألا وهي رسالة الاسلام. كان ذلك سنة ٧١٢م، حينما قاد الجيوش العربية فتى يافع لم يتجاوز السابعة عشرة من العمر، هو محمد بن القاسم الثقفي، في سبيل نشر لواء الاسلام، لواء المحبة والعدل والمساواة، بين شعوب أعماها الضلال، فانضوت تحت لوائه، حين وجدت فيه خير ملاذ لها. وبذلك فاقت حملة محمد بن القاسم في آثارها ماسبقها وماالحقها من حملات وغزوات حيث غمر هذه البلاد نور الرسالة السماوية الخالدة، التي قامت على أسسها في القرن العشرين دولة الباكستان الحديثة.

ومن الموجات التالية التي تركت بصماتها واضحة في أرجاء الباكستان ولاسيما في مدينة لاهور، موجة المغول، التي اجتاحت آسيا من مشارقها الى مغاربها تحت زعامة «جنكيز خان»، الذي أسس في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي امبراطورية مغولية اسلامية شاسعة. وبلغت أوج عزها في أيام «أورانكزيب» ابن «شاه جاهان»، الذي أحسن سياسة الشعب، وناصر رجال العلم والأدب.

لقد ازدهرت لاهور في عهد الأباطرة المغول، الذين اتخذوا منها منتجعا جميلا بل مقرا لبعضهم، فشيدوا فيها المساجد، والقلاع، والقصور الفخمة، فغدت حاضرة شبه القارة الهندية، ومحط القوافل في آسيا الوسطى. وكان قيام امبراطورية المغول بداية العصر الذهبي لمدينة لاهور، التي كانت تعتبر آنذاك أجمل مدن شبه القارة الهندية على الاطلاق. ويمكن القول ان الحضارة الاسلامية بوجه عام، ازدهرت أيما ازدهار، ابان حكم الأباطرة المغول، الذي دام نحو قرنين. وانعكس هذا الازدهار فيما حققته هذه الحضارة في ميدان



١ — المدخل المؤدي الى «شيش محل».
٢ — عقود جميلة في «شيش محل».
٣ — قلعة لاهور الضخمة من الخارج، وقد بناها الامبراطور «أكبر العظيم».



العمران، الذي يمثله «تاج محل» في أكرا في الهند، وحدائق «شاليمار» في لاهور بالباكستان.

ولما أخذ النزاع يشتد بين المسلمين والهندوس في شبه القارة الهندية، أخذت فكرة انشاء دولة خاصة بالمسلمين تراود الأذهان، اذ حمل لواءها شاعر الباكستان والفيلسوف «محمد اقبال» ابن مدينة لاهور التي تحتضن رفاته، وهو يعتبر المؤسس الروحي لدولة الباكستان. ولم تلبث تلك الفكرة أن أخذت تتبلور، واستطاع «محمد على جناح» بكفاحه المرير من تحقيق تلك الفكرة، فولدت في الخامس عشر من شهر أغسطس عام ١٩٤٧م دولة الباكستان.

لايعرف على وجه التحديد التاريخ الذي أسست فيه مدينة لاهور، وقد تضاربت آراء المؤرخين حول اسمها. فنجد من أهلها من يلجأ الى الأساطير المتداولة، التي تنتقل من جيل الى جيل، ويقولون أنها «أرض داتا» وهو القديس الحامي لأرض لاهور. ومنهم من يقول ان مؤسس لاهور هو «لافا» ابن «رامشاندرجي»، البطل الأسطوري الهندي الذي قهر البطل «رافان»، ولهذا أطلق عليها «لوهاوارنا». أما المؤرخون، فلهم رأي آخر حول نشأة هذه المدينة، اذ لم يرد ذكرها في حملة الاسكندر المقدوني عام ٣٢٥ ق. م. كما لم يذكرها «سترابو» (٦٣ ق. م.) ولم يذكرها «بلينيوس» (٢٣م). أما «بطليميوس» (١٤٠م) فقد ذكر «لابولكا» التي يرى المؤرخون أنها هي لاهور، كما ذكر «اماكاتيس» وهو موقع أثري مجاور لمدينة لاهور. أما عالم الآثار الانكليزي «الكساندر كننجهام — Sir Alexander Cunningham» (١٨١٤ — ١٨٩٣م)، فقد أوضح أن «اماكتيس» هي «أمباكابي» التي وجدت آثارها على مقربة من «لوبولكا». ويجمع معظم المؤرخين على أن لاهور تأسست في القرن الأول الميلادي. وقد كان الرحالة الصيني «هيون تسيانج — Hiuen Tsiang» أول من ذكر المدينة باسمها الحالي عام ٦٣٠ م. أما نقطة التحول الكبرى في تاريخ مدينة لاهور فقد كانت حين قيام المغول بسط سيطرتهم على شبه القارة الهندية. لقد وجه الأباطرة المغول أنظارهم نحو لاهور وأولوها اهتماما بالغا، حيث

استقر فيها الأباطرة وأطلقوا عليها اسم «مغول بورا» أي ضاحية المغول. ان المعالم البارزة في المدينة اليوم تعود الى عهد الحكام المغول.

ومن بين أحداث تاريخ المدينة، الحديثة نسبيا، أن محافظ المدينة «دولت خان لودي» من قبل الحاكم «ابراهيم لودي» ثار عام ١٥٢٤م واستنجد بأحد حكام مقاطعة في «أفغانستان» واسمه «بابار»، وانتهزها هذا فرصة لغزو الهند، فجند حملة كبيرة اجتاحت الهند واحتلت دلهي وأكرا، وداهم الغزاة لاهور ودمروها ونهبوا أموالها. لقد كان هذا الحدث التاريخي ايذانا بقيام امبراطورية المغول وبداية العصر الذهبي لمدينة لاهور، لاسيما في عهد الامبراطور «أكبر العظيم» حفيد «بابار» الذي اتخذ منها عاصمة له، وشيد فيها قلعة حصينة، لا تزال قائمة حتى اليوم. انها قلعة ضخمة مهيبة، يقف المرء مشدوها أمام مدخلها المزدان بالصور الفسيفسائية الرائعة، التي تعكس مناظر كان يهواها أباطرة المغول، كمسابقات الخيل والابل والفيلة والثيران، الى جانب الأشكال الهندسية البديعة من البلاط المصقول المطلي بالمينا، والرسومات النافرة التي تتوهج بألوان شتى عندما تسقط عليها أشعة الشمس. أما المباني الداخلية المزدانة بالرخام الأبيض والقائمة على أعمدة مستديرة فانها تضم قاعات الاجتماعات، والديوان العام والديوان الخاص. ولعل أجمل مافي داخل القلعة هي المقصورة الخاصة التي بناها الامبراطور «شاه جاهان» لزوجته عام ١٦٣٢ م المعروفة باسم «شيش محل»، فهي تضاهي في روعتها وبهائها أجمل القاعات الملكية في العالم. وسار على هذا النهج خلفاء الامبراطور «أكبر» العظام من بعده، وهم «جهانجير» و«شاه جاهان» و «أورانكزيب»، حيث ترك كل منهم بصماته واضحة في أرجاء مدينة لاهور. فبنى «جهانجير» مسجد اللؤلؤة، الذي يعتبر تحفة فنية رائعة في لاهور، وشيد لنفسه ضريحا فخما في حي شاهدارا. كما قام الامبراطور «جهانجير» بترميم القلعة التي بناها أبوه الامبراطور «أكبر العظيم». ومما يروى عن الامبراطور «أكبر» أنه رأى ذات يوم، بمحض الصدفة، احدى «جواريه» وهي فتاة من عامة الرعية، ذات جمال رائع، تبتسم لوريث امبراطورية المغول، نجله «جهانجير» فاستاء لهذا الأمر، سيما وأنه لاحظ اهتمام وشغف ابنه بها، فما كان منه الا أن أمر بدفنها حية. ولما تولى «جهانجير» العرش شعر بتبكيت الضمير وآلمه مصير الفتاة المنكودة الحظ، واسمها «أناركالي» ويعني «زهرة الرمان» فشيد لها ضريحا فخما يحمل اسمها.

ان كل من يزور مدينة لاهور، لابد له من أن يقصد حدائق «شاليمار»، التي بناها الامبراطور «شاه جاهان»، وتعتبر من أبرز معالم المدينة. ان حدائق «شاليمار» أي مسكن الحب، توفر لمرتاديها جوا لطيفا باردا، حيث توخى الأباطرة المغول من بنائها أن توفر لهم بيئة مماثلة لما ألفوه في موطنهم الأصلي، حيث الثلوج والمياه الوفيرة والخضرة الناضرة. لقد شهدت حدائق «شاليمار»، في ضواحي مدينة لاهور، أروع قصص الحب بين الامبراطور» جهانجير و ملكته الجميلة «نورجيهان» ويعني اسمها «نور العالم»، تلك القصة التي ردد أصداءها الشاعر الانكليزي «توماس مور» بقصيدته الرومانسية «لالاروك»، التي صور فيها أحلام الشرق وفتونه. هذه الحدائق والقصور المنتشرة في أرجاء المدينة تجتذب أفواج السياح والمصطافين، فهي تقف شاهدا على المستوى الرفيع للفن المعماري المغولي الاسلامي. والزائر لحدائق «شاليمار» يقضي أمتع الأوقات وأحلاها متنقلا بين القصور الفارهة الفخمة، والشلالات المتدفقة، والنوافير المتلألئة، وأحواض الزهور المتعددة الألوان.

---

١ — نقوش رخامية بديعة الألوان تزين أرض نافورة في الديوان الخاص في قلعة لاهور.

٢ — «شيش محل» مقصورة فخمة بناها الامبراطور «شاه جهان» لزوجته، و تزدان جدرانها بالزخارف الرائعة والمرايا الصغيره الملونة.

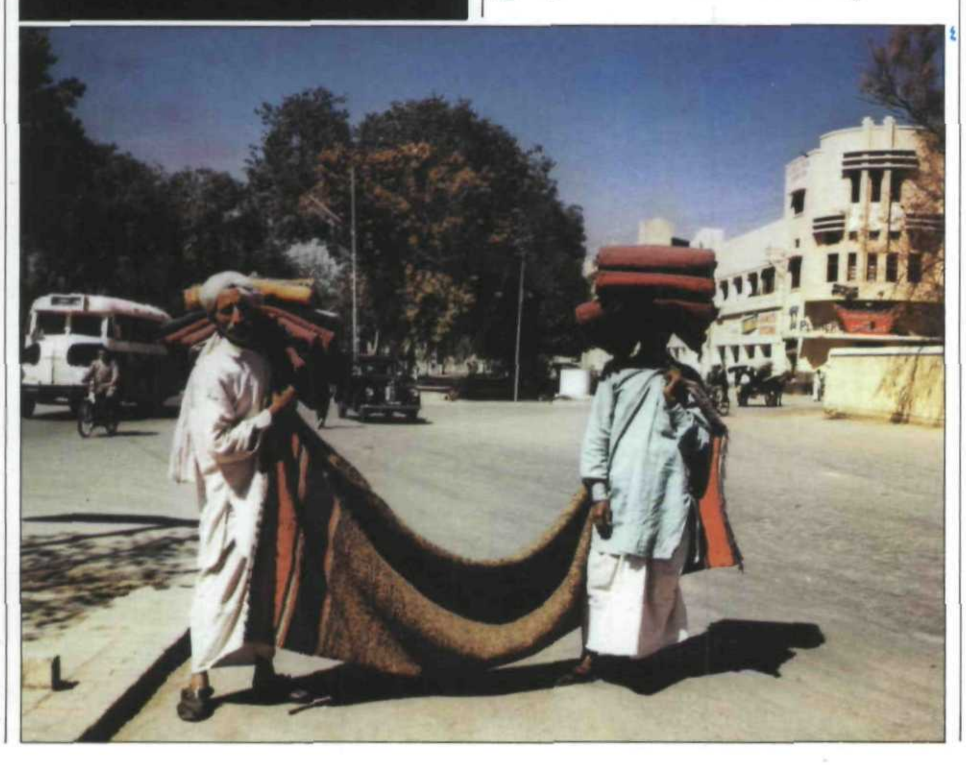
٣ — زركشة الرخام بالتخريم فن برع فيه الحرفيون الذي قاموا بتشييد قلعة لاهور.

٤ — تشتهر لاهور بصناعة السجاد الجميل الذي يعرضه الباعة المتجولون في كل مكان.

٣



٤



ومن بين المعالم الأخرى التي يتجلى فيها الفن المعماري المغولي واضحا «مسجد بدشاهي» أو «المسجد الامبراطوري» وقد بناه الامبراطور «أورانكزيب»، آخر أباطرة المغول العظام، وهو من أضخم المساجد في العالم، اذ يتسع لنحو مائة ألف من المصلين في وقت واحد. وهذا المسجد مبني بالحجر الرملي الأحمر، وله ثلاث قباب ضخمة من الرخام الأبيض. والجدير بالذكر أنه في عهد الامبراطور «أورانكزيب» غدا يطلق على لاهور «دار السلطنة» . واذا اجتاز الزائر بوابة دلهي وجد نفسه أمام أحد المعالم الاسلامية المرموقة في لاهور، ذلك هو «جامع الوزير خان» الذي أسسه عام ١٦٣٤ م الحكيم علاء الدين الأنصاري، حاكم البنجاب من قبل الامبراطور «شاه جاهان»، وهو من أجمل مساجد مدينة لاهور، يمتاز بزخرفته ونقوشه البديعة. فجدرانه مكسوة من الداخل بالبلاط المزجج المصقول الملون، وواجهته الأمامية مزدانة بالآيات القرآنية المنقوشة بأروع الخطوط العربية. وهذا المسجد يطل على المدينة بكاملها كما يمتد أمامه «سوق لاندا». وهناك أيضا متحف «فقير خانه» الذي أرسى قواعده أحد وزراء السيخ، الذين حكموا البنجاب بعد المغول، وهو من أكبر المتاحف الخاصة في العالم. إذ يضم قطعا أثرية نادرة للحضارات التي قامت في مقاطعة البنجاب، كاللوحات الفنية الرائعة، وقطع السجاد النادر، والمخطوطات، والكتب. وعلى «شارع القائد الأعظم»، وهو الشارع الرئيسي الذي تقوم عليه معظم الفنادق الممتازة، يقوم متحف لاهور في مواجهة حرم جامعة النبجاب، وهو أقدم متحف في الباكستان، ويضم سبع عشرة قاعة تضم أروع مخلفات العصور السالفة.

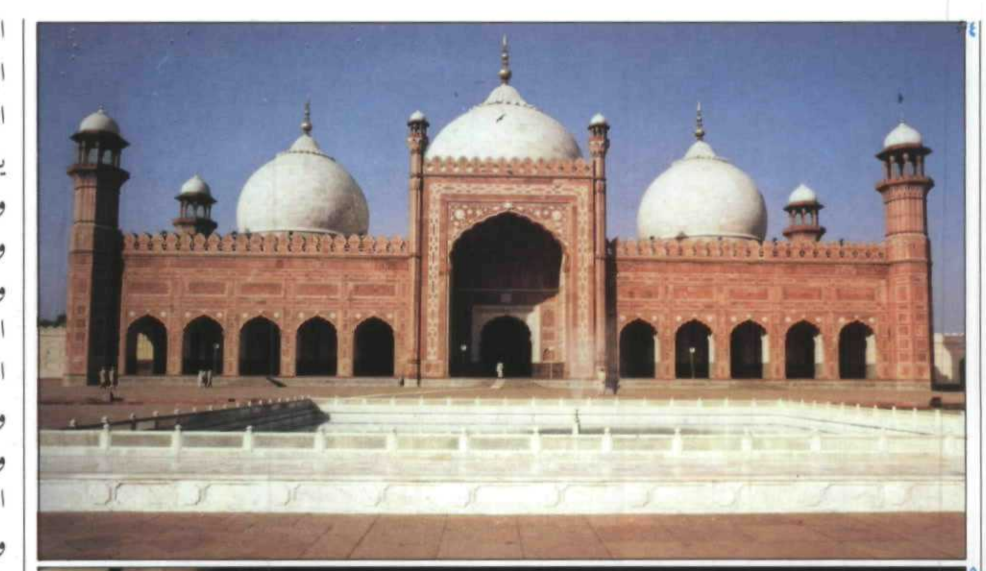
ولكي يقف الزائر على دقائق الحياة في لاهور لابد له من زيارة «سوق أناركالي»، أشهر الأسواق الشرقية في لاهور حيث الحياة صاخبة بجميع ألوانها ومشاربها. فالحوانيت الصغيرة تغص بالسلع والمصنوعات المحلية، كالملابس المطرزة، والحلي الفضية والذهبية، والنحاسيات المحفورة المزخرفة، والأدوات الخشبية المنقوشة المطعمة بالعاج والعظم والصدف بأشكال هندسية بديعة، والتحف

١


٢


٣


٤



٥

الرائعة المتنوعة المصنوعة من الجزع أو العقيق اليماني الاونيكس، والسجاد الثمين. وتشمل الملابس في سوق أناركالي الاجراك المطرز الذي يشبه العمة، والسوسي والشادر (الشال) والشلوار، والكرتاس (القميص)، والقاج، والتوبي (الطاقية) المزخرف بالمرايا الصغيرة، والبراقع، والغاقرا، والبارة أي التنورة الواسعة، وغير ذلك من المنسوجات والملابس السندية التقليدية. هذا الى جانب العقود والمسابح الزجاجية، والأساور، والأقراط، والخواتم. كما يجد الزائر هنا أجود أنواع السجاد اليدوي الصنع في العالم، من حيث ألوانه وتصاميمه الرائعة، التي تعتبر من الفنون الجميلة المتوارثة، التي كان الأباطرة المغول يشجعونها بكل الوسائل. كما يشاهد الزائر الحوانيت الصغيرة التي تقدم الكباب أو «النهاري» أي اللحم المطبوخ بالكري الحار، الذي تنهمر عند أكله الدموع، تغص بالزبائن، تلك الحوانيت التي تُشتم فيها رائحة لاهور المميزة.

وهذه المدينة الفريدة في باكستان، تعتبر من ناحية أخرى المركز الثقافي والصناعي والزراعي ليس في البنجاب فحسب، بل في البلاد كلها. ففيها عدة جامعات لعل أشهرها جامعة البنجاب، وهي أقدم جامعة في الباكستان، فضلا عن عدد من الكليات والمعاهد المتخصصة. كما ينتشر في لاهور عدد كبير من المكتبات، كذلك يكثر فيها مصانع النسيج، والورق، والأسمدة، والحديد والصلب، والجلود وغيرها □

---

١ — مدخل حدائق شاليمار تحيط به جداول الماء.

٢ — حدائق شاليمار، التي يقصدها السياح وأهالي لاهور للترويح عن النفس.

٣ — حدائق منسقة أمام ضريح «جها نجير».

٤ — مسجد «بدشاهي» أو المسجد الامبراطوري في لاهور، وهو من أضخم المساجد في العالم. وقد بناه الامبراطور المغولي «أورانكزيب».

٥ — زخارف بديعة يزدان بها سقف مسجد «بدشاهي» في مدينة لاهور.

تصوير: بيتي سسبيديس

العودة من الغربة

شعر: مصطفى النجار / حلب

قد قرعتُ البابَ، بابَ الذكرياتِ ألف احساسٍ، هنا في غوْر ذاتي
ليل خوفٍ وكثيرٌ من عذابٍ خلت أن النّارَ تقتاتُ حياتي
سندباداً عدتُ والبحر ورائي فوجدت البحرَ من كلِّ الجهاتِ
حاصرتني باتهاماتٍ جلافٍ لحظةُ المأساة تكوي كلماتي
قد قرعت الباب والصمت مريع فرّ من صمتٍ الى بوح لهاتي
نخلة الدار هنا بعض حكايا وصغار الحي أسراب قطاة
هنّ ما زلن يثرثرن كثيراً نسوة الحي وبعض الأمهات
ورجال قد مضوا منذ سنينٍ من يعد عاد غريب القسمات
مزّقته الغربةُ الدكناء حيناً وارتمى شلواً على باب النّجاة
يقرع الباب بنبض وعيون خائرَ العقل ذليلَ الخطوات
من يعد عاد كعصفور غريب قد أضاع الزّاد طيب الرشفات
أنهكته الرحلة الشكلى زماناً فهو الآن قتيل النّغمات
لم يعد باب هنا أو بعض دار انها أطلال أحباب شتات؟

* * *

كفكف القلب دموعاً ودماء بعد اطراق أجال النظرات
في فضاء غمرته الشمس رفقاً والعصافير رواح في الفلاة
ومراعٍ لوّن الله مداها وتحدّى الوردُ أقسى الحصوات
ثم قال: الحب والمأساة درب؟ أيظل القلب موصول الشكاة؟
ولماذا يصبح الدمع قيودا؟ ولماذا الشمس من غير هداة؟
أبدأ الدرب سأبني من جديد؟ تبزغ الجنات من جمر الرفات
أبدأ الدرب فللدرب حكايا ومع الله بقايا خطواتي؟



أثر التليفزيون على القراءة

بقلم: الاستاذ بسيوني الحلواني / المدينة المنورة



تعتبر دراسات تأثير التليفزيون على المشاهدين كبارا وصغارا من أكثر الدراسات التي حظيت باهتمام الباحثين في مجالات الاعلام والاجتماع والتربية وعلم النفس. وقد تشعبت وتخصصت بحوث التليفزيون وارتباطها بمختلف القضايا المؤثرة في المجتمع .. وبما أن القراءة هي الطريق الأساسي للمعرفة والوسيلة المثلى للتعليم والتعلم والتثقيف، فقد اهتم الباحثون والمفكرون بتأثير التليفزيون على القراءة بصفة عامة وقراءة الكتب بصفة خاصة حيث أجريت دراسات وتجارب في المجتمعات الأمريكية والأوروبية والكندية واليابانية أشارت معظمها الى أن التليفزيون يقلل من نسبة قراءة الكتب والمجلات ولكن هذه النسبة تتفاوت بين مجتمع وآخر.

ونظرا لأن البحوث التي تجرى في الخارج تنطبق في معظمها على الوسط العربي كما يقول الاستاذ الدكتور حسن شحاتة سعفان في خاتمة كتابه «التليفزيون والمجتمع» حيث تساعد في التقدير التقريبي لموقفنا العربي. وسنستعرض هنا أهم النتائج التي توصلت اليها التجارب والدراسات التي تتناول تأثير التليفزيون على القراءة، وكذلك آراء الباحثين والمفكرين في هذا الصدد.

التليفزيون وقراءة الكتب

رغم النتائج المتناقضة لبعض البحوث التي أجريت في كثير من دول العالم المتقدم لمعرفة تأثير التليفزيون على قراءة الكتب العامة، فان هناك اجماعا من الباحثين والدارسين على أن التليفزيون ينافس الكتاب في مجالات القصص والروايات والتسلية فقط، ولم يمس بحال من الأحوال مجال المعلومات، فرغم ما نشاهده على شاشات التليفزيون من ندوات ومحاضرات وبرامج ثقافية عديدة، فان الكتاب مازال هو الوعاء الكبير للثقافة.

ولقد تبين للباحث الانجليزي «وليم بلسون — "W. Belson"» أن عدد الكتب التي تقرأ بغرض التسلية والترويح قد قل بنسبة ٢٣ في المائة بين مشاهدي التليفزيون، كما قل الاهتمام بقراءة الكتب بصفة عامة بنسبة ٩ في المائة كما اتضح لبلسون من خلال الدراسة نفسها انخفاض في قراءة المطبوعات غير الخيالية — Non-Fiction ، وهي المطبوعات التي يلجأ اليها الناس للحصول على المعلومات، وانخفاض في القراءة عن السياسة والشئون الدولية وعن الناس في الأقطار الأخرى، وعن التطورات في العلم والتكنولوجيا. ويرى أن السبب في ذلك هو تزايد الاهتمام بتنوع البرامج التليفزيونية.

التليفزيون واستعارة الكتب

قام الباحث «رونالد جونسون» بدراسة عادات استعارة الكتب لنحو ١٢٣ ممن يملكون أجهزة تلفزيونية و ٢٠٨ ممن لا يملكون هذه الأجهزة وذلك في المكتبة العامة بمدينة نيوجرسي الأمريكية .. وقد تبين للباحث أن الذين لديهم أجهزة تلفزيونية قد استخدموا المكتبة بدرجة أقل من أولئك الذين لا يملكون أجهزة تلفزيونية .. ولكن «جونسون» يرى أن هناك بعض الدلائل التي تشير الى أن التأثير السلبي للتليفزيون على القراءة وارتياد المكتبات يقل بعد حوالي عام من حيازة الجهاز. وتؤكد الدراسة التي قام بها الباحثون الأمريكيون «كتنجهام ووالش وكوفن» أن المشاهدين في بداية الأمر يقل اقبالهم على المكتبات الا أنهم بعد عام من المشاهدة سرعان مايستعيدون اهتمامهم بالتردد على المكتبات .. الا أن الباحث الانجليزي «بلسون» لم يجد مثل هذا التوازي حتى بعد خمس أو ست سنوات من المشاهدة .. ويرى بعض الباحثين أنه يمكن ارجاع ذلك الى الفوارق في عادات قراءة الكتب بين المجتمع الأمريكي والمجتمع

البريطاني.

التليفزيون وحركة النشر

يرى الناشرون في معظم دول العالم أن التليفزيون ينافس الكتاب ويؤثر الى حد ما على حركة نشر الكتب .. وتشير الاحصاءات في هذا المجال الى نتائج تكاد تكون متناقضة. في عام ١٩٥٠ صدر في أمريكا مثلا نحو ١١٠٠٠ عنوان كتاب ليس من بينها الكتب العلمية والدينية. وفي عام ١٩٧٠ ارتفع هذا العدد الى ٣٦٠٠٠ كتاب وذلك رغم تنامي أعداد أجهزة التليفزيون خلال هذه الفترة .. وفي الوطن العربي يشير تقرير لهيئة اليونسكو الدولية الى عكس ذلك حيث صدر عام ١٩٦٥ نحو ٥١٩٩ كتابا. وفي عام ١٩٨١ انخفض هذا الرقم الى ٢٨٥٠ كتابا، وكان من المتوقع — كما يقول تقرير اليونسكو — أن يرتفع عدد الكتب الصادرة في الوطن العربي الى ١٠٠٠٠ كتاب على الأقل خصوصا بعد الزيادة الملحوظة في تعداد السكان وارتفاع نسبة التعليم. ويعزو تقرير اليونسكو هذا التردي في حركة التأليف والنشر الى أسباب عديدة أهمها دخول التليفزيون الى البلاد العربية وتراجع القراءة لدى الأجيال العربية الجديدة.

التليفزيون وقراءة المجلات

يظهر تأثير التليفزيون على قراءة المجلات بشكل أكبر من أي وسط مطبوع آخر، حيث تشير الدراسات الى انخفاض في نسبة قراءة المجلات بصفة عامة .. كما أكدت الدراسات التي تمت في تحليل أرقام توزيع المجلات بأنواعها المختلفة في أكثر من مجتمع أن المجلات التي تعاني من منافسة التليفزيون هي التي تهتم أساسا بالناحية الترفيهية وليس بتقديم المعلومات.

ويرى الباحث «بوجارت» أن المجلات في طريقها الى المزيد من التخصص والاهتمام بالجوانب العلمية والثقافية لمواجهة المنافسة التليفزيونية في مجال الترفيه.

وفيما يلي نتائج احدى الدراسات التي تظهر العلاقة بين الوقت الذي يقضى في قراءة المجلات وبين مدة حيازة جهاز التليفزيون وذلك بالنسبة لذوي الدخول المختلفة.

◦ عدد الدقائق التي يقضيها الفرد الواحد ممن يملكون أجهزة تلفزيونية على القراءة يوميا خلال أقل من سنة، ويقل دخلهم عن ٤٠٠٠ دولار سنويا هو ثماني دقائق، بينما يقضي الفرد الذي يزيد دخله على ٤٠٠٠ دولار سنويا احدى عشرة دقيقة.

◦ عدد الدقائق التي يقضيها ممن لديهم أجهزة تلفزيونية على القراءة يوميا خلال أقل من سنتين، ويقل دخل الواحد منهم عن ٤٠٠٠ دولار سنويا، هو ٨ دقائق. بينما يقضي الواحد ممن يزيد دخلهم على ٤٠٠٠ دولار سنويا، على القراءة يوميا، أربع عشرة دقيقة.

◦ عدد الدقائق التي يقضيها الشخص الواحد ممن يملكون أجهزة تلفزيونية على القراءة خلال أكثر من سنتين ويقل دخله عن ٤٠٠٠ دولار سنويا، هو تسع دقائق. بينما يبلغ عدد الدقائق التي يقضيها الواحد ممن يزيد دخلهم على ٤٠٠٠ دولار سنويا على القراءة يوميا خمس عشرة دقيقة.

التليفزيون وقراءة الصحف

تشير كل البحوث الى أن تأثير التليفزيون على قراءة الصحف يقل كثيرا عن تأثيره على قراءة الكتب والمجلات، ويرجع ذلك الى أن الصحف تقرأ عادة تحت ظروف لا يمكن أن ينافسها فيها التليفزيون، فالصحف قد تقرأ أثناء الذهاب الى العمل والعودة منه أو أثناء العمل نفسه. وقد أكدت البحوث على أن أكثر قراء الصحف يفضلون قراءتها في الصباح وهو الوقت الذي يتوقف فيه غالبا البث التليفزيوني. كما أن الصحيفة تصدر يومية على خلاف المجلة التي تصدر مرة أو مرتين أو أربع مرات في الشهر، أي أن قراءة الصحيفة ومتابعة الأخبار فيها يعتبر أكثر الحاحا من المجلة.

ويرى بعض الباحثين أن التليفزيون يزيد من قراءة الشخص للصحف، فالأخبار التليفزيونية غالبا ماتكون مختصرة ولا تجيب على كل ما يدور في ذهن المشاهد من تساؤلات، ولذلك يضطر الشخص الى شراء الصحيفة في الصباح لمعرفة المزيد من المعلومات والجوانب الاخبارية التي لم يعطها التليفزيون حقها .. هذا بالاضافة الى أن الصحيفة توفر للقارىء نوعا من الاستقلال الفكري في اختيار ما يريد قراءته والاطلاع عليه على عكس التليفزيون.

ولقد وجه الباحث «جولد برج — "Gold Berg"» الى عدد من الحائزين على جهاز التليفزيون، سؤالين متوازيين وهما:

ماهي الوسيلة الاعلامية التي تعتقد أنها تعطيك تغطية أخبارية أكثر اكتمالا؟ الراديو أم الصحيفة أم التليفزيون؟

وما هي الوسيلة التي تعتقد أنها تعطيك تغطية اخبارية أكثر تقبلا؟ وكانت الصحف هي التي تغطي الاجابة عن السؤال الأول، حيث كانت الردود الايجابية ٧٥ في المائة وكان التليفزيون هو الذي يغطي السؤال الثاني أي الأكثر اثارة وتقبلا ووصلت الردود الايجابية الى ٦٨ في المائة.

وقد دلت بعض البحوث على أن هناك فريقا من الناس يفضلون التليفزيون كمصدر أساسي للأخبار، وهذا الفريق يضم عادة ذوي الدخل المحدود والأقل تعليما.

التليفزيون وأثره على القراءة لدى الأطفال والشباب

ان أثر التليفزيون على القراءة لدى الأطفال والشباب يثير قلقا كبيرا بين المفكرين والباحثين وخبراء التربية في مختلف دول العالم.. فقد اثبتت الدراسات التحليلية التي قام بها الباحثون الأمريكيون «ويلبور شيرام — "Wilbur Schramm"» و «جاك ليل — "Jack Lyle"» و «أدوين باركر — "Edwin Parker"» في عشر بيئات اجتماعية بالولايات المتحدة الامريكية وكندا وطبعت في كتاب بعنوان «التليفزيون وأثره في حياة أطفالنا»، أن التليفزيون يشغل الأطفال عن قراءة الكتب والمجلات الثقافية وأيضا الكتب المدرسية، فقد لاحظوا أن أضعف الطلاب تحصيلا في المدرسة هم أكثر الأطفال اقبالا على برامج التليفزيون. وأكدت الدراسة التي قام بها هؤلاء الباحثون على تلاميذ المدارس أنه كلما تقدم عمر الطفل، قلت

مشاهدته للتليفزيون وزاد اقباله على القراءة .. كما أكدت الدراسة شدة اهتمام ذوي الذكاء العالي بالكتب وقلة اهتمامهم بالتليفزيون. أما ذوو الذكاء المتوسط فيتساوى عندهم الاهتمام بالتليفزيون والكتب، بينما ذوو العقلية المتدنية يكون اهتمامهم بالتليفزيون أكثر من اهتمامهم بالكتب. كما يؤكد الباحث «ريموز» أنه عند استطلاع آراء المراهقين وجد أن كل اثنين من خمسة يريان بأن التليفزيون يعيقهما عن أداء أعمالهما المدرسية وإن كان تقديرهما لذلك متفاوتا.

وفي دراسة أخرى أجريت في أمريكا، تبين أن الشباب الأمريكي الذين تتراوح أعمارهم مابين ١٨ و ٢٤ سنة، أقبلوا في عام ١٩٧٠ على شراء مانسبته ٢٤ في المائة من مجموع الكتب المباعة في تلك السنة .. الا أن كثيرا من الباحثين يرون أن قراءة الكتب ليست انعكاسا مباشرا لعدد الكتب التي يقبل القراء على شرائها.

وفي بريطانيا قام الباحثون «هيملوايت — "himmelweit" » و «أوبنهايم — Oppenheim» و «فينشي — "Vince" » باجراء احدى عشرة دراسة طبعت في كتاب بعنوان «التليفزيون والطفل» و ثبت لهم من خلال هذه الدراسات أن التليفزيون ليس له أثر كبير على اقبال الاطفال والشباب على القراءة، وخاصة ما يتعلق بالواجبات المدرسية التي يؤديها الطفل بالمنزل .. ويقولون : قد يتسبب التليفزيون في بداية حيازته في هبوط الاقبال على قراءة الكتب، ولكن بعد أن يعتاد الأطفال مشاهدة التليفزيون فانهم يعودون تدريجيا الى قراءة الكتب .. ولعل عودة قراءة الكتب الى معدلها الطبيعي-كما يرى هؤلاء الباحثون — ترجع الى أن التليفزيون يثير الميل الى القراءة، كما يثير اهتمام الطفل وحبه للاستطلاع الى حد يصبح معه راغبا في مطالعة سلسلة أوسع من الكتب بما في ذلك الكتب التي تتضمن موضوعات واقعية غير خيالية.

يقول تقرير لاحدى مكتبات الأطفال العامة بلندن: «لعل من الظواهر المشجعة في أرقام التداول خلال السنوات العشر الماضية هو الارتفاع المستمر في اقبال الأطفال على المطالعة بصفة خاصة والشباب بصفة عامة، وخاصة خلال السنوات القليلة الماضية وذلك على الرغم من المخاوف التي ترددت في كثير من الأوساط من أن انتشار التليفزيون سيخلف آثارا سلبية على القراءة .. وتتمثل النقطة الأخرى الجديرة بالملاحظة في سجل الكتب المتداولة في أن ٥٠ في المائة منها كان غير خيالي على الرغم من أن جميع البطاقات التي تصرف للأطفال «عامة» يمكن الحصول بها على أي كتاب كما في مكتبات الكبار».

وعلى مستوى عالمنا العربي،فقد أجريت دراسة عامة ١٩٧٧ على عينة من طلاب المدارس الثانوية والمتوسطة والتكميلية في لبنان، كشفت عن أن ٦٠ في المائة من الذكور و ٦٨ في المائة من الاناث يرون أن التليفزيون يشغلهم عن القراءة الحرة. بينما يرى ٦٤ في المائة من الذكور و ٣٠ في المائة من الاناث أن التليفزيون يصرفهم عن استذكار دروسهم.

التليفزيون حافز على القراءة

يرى فريق من المفكرين والباحثين أن التليفزيون لا يقلل من فرص القراءة لدى المشاهدين، بل يشجعهم على القراءة بما يفتحه من نوافذ المعرفة والأفكار والمعلومات الجديدة، والدليل على ذلك أنه بالرغم من رواج التليفزيون وانتشاره وخاصة في السنوات الأخيرة، فان التوزيع الكلي للكتب والمجلات والصحف قد استمر في النمو والزيادة .. غير أن بعض هؤلاء الباحثين يرون أنه ليس هناك طريق للتأكد من أن هذه الزيادة في المواد المطبوعة كان من الممكن أن تكون أكثر لو لم يظهر التليفزيون.

ويرى فريق آخر من الباحثين أن التليفزيون يستطيع أن يضاعف من الاهتمام نحو آفاق أوسع للقراءة وقد يحدث هذا بطريق غير مباشر مثل استعراض الكتب في برامج تثير الرغبة في اقتنائها .. كما أن مقدرة التليفزيون على تبسيط المعلومات المعقدة يمكن أن تدفع الناس الى البحث في موضوعات لم تكن ذات أهمية لهم من قبل حيث اكتشف أمناء المكتبات وموزعو الكتب في أكثر من دولة أن مشاهدي التليفزيون، كبارا وأطفالا، كثيرا ما يسألون عن كتب تبحث في موضوعات حازت على اهتمامهم عند مشاهدتهم لبرامج تليفزيونية.

ويذهب فريق ثالث الى القول: اذا كان التليفزيون يشغل حيزا كبيرا من أوقات فراغ المشاهدين مما يقلل من فرص القراءة لديهم فانه يقوم بتعليمهم وتثقيفهم وتنمية قدراتهم العقلية والمهنية. وليس المقصود هنا البرامج التعليمية التي تؤدي غرضا تعليميا مقصودا ومباشرا كبرامج تعليم اللغات أو بعض المناهج المدرسية فحسب، بل المقصود هو مختلف البرامج التي يعرضها التليفزيون كالبرامج الاخبارية والاعلامية والثقافية والترفيهية الهادفة. فهذه كلها توفر للجمهور معلومات وافية عن الناس والأماكن المختلفة بالوطن والعالم،وأيضا عن المهارات والمشاكل والمسائل العامة وأسبابها وتحليلها واقتراح وسائل حلها.. كما يرى هؤلاء أن التليفزيون أصبح يؤدي وظيفة الكتاب في نشر المعلومات الثقافية وان كان ذلك لا يعني الاستغناء عن الكتاب. فالكلمة المطبوعة مازالت تحتل مكانتها في التعليم والبحث العلمي.

وبعد: فقد كنت أود لو كانت الحقائق والمعلومات التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة من نتائج أبحاثنا في العالم العربي، ولكن انعدام أبحاث عربية جادة مماثلة في هذا المجال قد دفعني الى الاستعانة بالبحوث التي أجريت في بلدان سبقتنا الى ذلك □

مراجع الدراسة

- «دور التليفزيون في التنشئة والعادات القرائية كعناصر قاعدية في التأثير على المجتمع المعاصر» — د/أحمد بدر، وهي سلسلة بحوث ودراسات تليفزيونية.
- جهاز تليفزيون الخليج ١٩٨٣م الرياض.
- «الناس والتليفزيون»/د. فتح الباب عبد الحليم و د. ابراهيم حفظ الله. مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة ١٩٦٣م.
- «التليفزيون والطفل» — دراسة تجريبية لأثر التليفزيون على النشىء، ترجمة أحمد سعيد ومحمود شكري، وهي سلسلة الألف كتاب — مؤسسة سجل العرب — القاهرة ١٩٦٧م.
- «التليفزيون وأثره في حياة أطفالنا» ترجمة زكريا سيد حسن — المؤسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ١٩٦٥م.

الطاقة الكامنة في الأشعة الشمسية

بقلم : الدكتور جاسم محمد الأنصاري / معهد البحوث / جامعة البترول والمعادن

منذ نشأة الخلق على وجه الأرض، أدرك الناس أن كل شيء له صلة مباشرة أو غير مباشرة بالشمس وبما ترسله من اشعاعات.. بنورها نستضيء وبحرارتها نستدفيء، وبتأثير هذه الاشعاعات تصنع مقومات الحياة الأساسية في النبات والحيوان على السواء. والشمس هي أكبر الكواكب التي خلقها الله عز وجل حيث يبلغ قطرها الدائري سبعمائة ألف كيلومتر، وكتلتها أكبر من كتلة الأرض بنحو ثلاثمائة وثلاثين ألف مرة.

وتبلغ القوة الاشعاعية للشمس في كافة أرجاء الفضاء واحدا وثلاثين مليون تريليون ميجاوات. أما الجزء البسيط من اشعاعها الذي يصل الى الأرض التي تبعد عن الشمس بنحو مائة وتسعة وأربعين ألف كيلومتر، فتبلغ قوته مائتي بليون ميجاوات. وحسب تقدير بعض العلماء فان لمعان بوصة مربعة واحدة من سطح الشمس يعادل اشراق ثلاثمائة ألف شمعة.

أما الحرارة على سطح الشمس فتبلغ ستة آلاف درجة مئوية وفي قلبها تقارب عشرين مليون درجة مئوية.

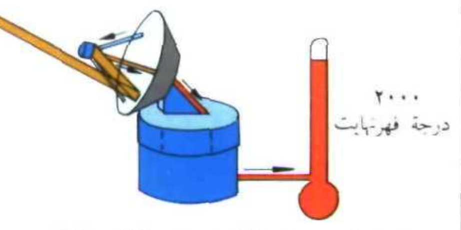
ان هذه الدرجة العالية من الحرارة تقوم بصهر كميات هائلة من كتلة الشمس في كل لحظة زمنية، فينتج عن ذلك انطلاق كميات كبيرة من الأشعة. فعلى سبيل المثال، يتحول خلال كل ثانية مقدار أربعة ملايين طن من الهيدروجين الى غاز الصوديوم. وينتج عن هذا التغير انطلاق كميات من الأشعة تعادل واحدا وثلاثين مليون تريليون ميجاوات. ونتيجة لهذه التفاعلات يمكن اعتبار الشمس بمثابة مفاعل نووي هائل.

والحديث عن الطاقة الشمسية يتطلب الحديث عن الأشعة الشمسية. فهناك نوعان من الاشعاع الشمسي يصلان الى سطح الأرض. أحدهما «اشعاع مباشر — Direct Radiation» ويفد من الشمس مباشرة دون أن يتبدد في أرجاء الفضاء عند اختراقه الغلاف الجوي. والآخر «اشعاع قابل للانتشار — Diffused Radiation» وينفذ من جميع الاتجاهات نتيجة انكساره وتبدده في الغلاف الجوي. ويطلق على هذين النوعين من الاشعاع الشمسي لفظ «اشعاع شامل — Total Radiation». ويتم توزيع الاشعاع الشمسي الساقط على الغلاف الجوي على النحو التالي:

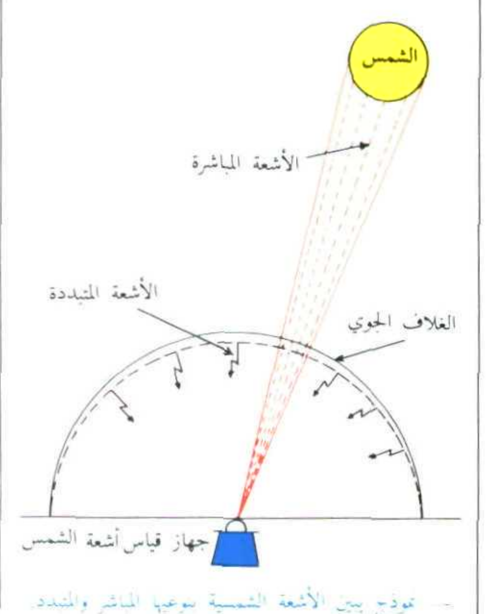
* ثلاثون في المائة من هذه الأشعة تنعكس على الطبقات الفضائية العليا.
* سبع وأربعون في المائة تمتص في طبقات الأرض ومياه البحار والغلاف الجوي نفسه.
* ثلاث وعشرون في المائة تستهلك في تبخر مياه البحار والأنهار والبحيرات.

وينتج عن هذا التوزيع أن نسبة الأشعة المتوفرة للاستخدام هي خمسون في المائة من اجمالي كمية الأشعة الساقطة على الغلاف الجوي.

ان الاشعة الشمسية أشعة مبددة أي أنها غير مركزة، وهذا يعني أن تجميعها يتطلب مساحات شاسعة من الأراضي. فعلى سبيل



يبين الرسم المجمعات الشمسية المختلفة مع ملاحظة اختلاف درجات الحرارة التي يمكن التوصل اليها عن طريق كل مجمع شمسي.



نموذج يبين الأشعة الشمسية بنوعيها المباشر والمتبدد.

المثال، نجد أن الطاقة الكامنة في الأشعة الساقطة على مساحة من الأرض مقدارها مائتان وستون مترا مربعا، تعادل كمية الطاقة المختزنة في برميل واحد من الزيت. ويتم تجميع الأشعة الشمسية عن طريق المجمّعات الشمسية التي يمكن تصنيفها الى مجموعتين رئيسيتين وهما:

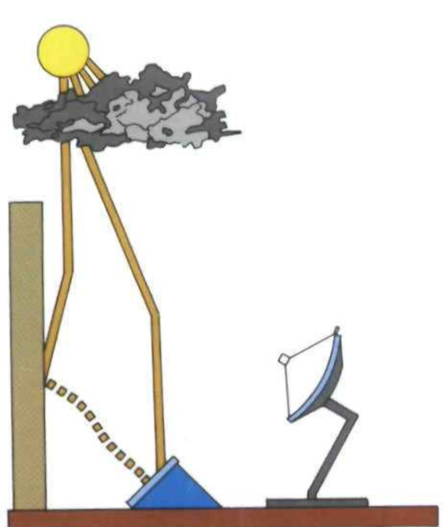
* المجمّعات الشمسية المستوية الأسطح، وتقوم بامتصاص الاشعاع الشامل، وهي تمتاز بكونها سهلة التصنيع والتركيب ولا تحتاج الى معدات وأجهزة معقدة للقيام بوظيفتها. كما أنها ثابتة المحور أي أنها لا تحتاج الى أجهزة توجيه بحيث يكون اتجاه سطحها عموديا على أشعة الشمس خلال النهار. فعلى سبيل المثال يمكن تثبيت المجمّع الشمسي المستوي السطح في منطقة الظهران أو الدمام بجعل المجمّع يميل عن المستوى الأفقي بزاوية مقدارها ٢٦ درجة. وتمثل هذه الزاوية ميلان المنطقة عن المحور العمودي للشمس.

وتنحصر استعمالات هذه المجمّعات في الأغراض التي لا تتطلب درجات حرارة عالية كعمليات تسخين المياه للأغراض المنزلية.

* المجمّعات الشمسية المقعرة الأسطح، وتقوم بامتصاص الأشعة المباشرة للشمس « Direct Radiation »، وهي تتكون من سطوح مقعرة اما على شكل دائري مكافىء المقطع — Parabolic Dish أو على شكل أسطوانة مكافئة المقطع Parabolic Cylinder، ووظيفة هذه الأسطح هي تركيز الأشعة المباشرة للشمس على أنبوب يمر ببؤرة المجمّع الشمسي. غير أن هذه المجمّعات تحتاج الى جهاز توجيه بحيث تكون عمودية على الأشعة الشمسية الساقطة في كل وقت. وتمتاز هذه المجمعات بقدرتها على توليد درجات حرارة عالية ولكنها باهظة الثمن بالمقارنة مع المجمعات المستوية الأسطح.

أما عن كمية الأشعة التي يمكن تجميعها فعليا بواسطة المجمعات الشمسية للاستفادة منها فانها تخضع لمؤثرات خارجية ويمكن تلخيصها كما يلي:

* **الموقع الجغرافي للمنطقة**: حيث أن كمية الأشعة الساقطة في المناطق المشمسة أكبر منها في المناطق الكثيرة الأمطار.



يوضح هذا الرسم تأثير السحب على نوعين من المجمعات الشمسية. يلاحظ أن المجمع المستوي السطح يمتص جميع الأشعة الواردة بينما المجمع المكافىء المقطع يمتص الأشعة المباشرة فقط.

* **موقع مجمّع الأشعة الشمسية**: يجب أن يكون بعيدا عن ظلال الأشجار أو المباني بحيث لا تحجب أشعة الشمس الساقطة.

* يجب أن يكون توجيه المجمع الشمسي دائما في الاتجاه العمودي للأشعة الساقطة إما باستخدام الموجهات في حال المجمعات المقعرة الأسطح، أو بمراعاة ميل المنطقة في حال المجمعات المستوية الأسطح.

* **الوقت الزمني اليومي**: ان كمية الأشعة الساقطة خلال منتصف النهار أكبر منها خلال فترة الاشراق أو الغروب. أي أن الأشعة الشمسية الساقطة تبدأ في التزايد من شروق الشمس الى أن تصل ذروتها في منتصف النهار وتبدأ في التناقص الى حد التلاشي عند غروب الشمس.

* **الوقت الزمني السنوي**: ان كمية الأشعة الساقطة خلال أشهر الصيف أكبر منها خلال أشهر الشتاء. ويرجع السبب الرئيسي في ذلك الى طول النهار في فصل الصيف وقصره في فصل الشتاء.

* **المؤثرات الجوية**: ان أكبر عامل مؤثر على تقليل الاشعة هو السحب حيث أنها تحجب الأشعة الشمسية بحوالي تسعين في المائة. أما العوامل الأخرى المؤدية الى ذلك فتنحصر فيما يلي:

أ — الغبار، ويعتبر من أكبر العوامل المؤثرة خاصة في المملكة العربية السعودية حيث يغطي أسطح المجمعات بطبقة تقوم بحجب جزء كبير من الأشعة مما يؤدي الى التقليل من كفاءة المجمع الشمسي.

ب — المواد العالقة في الهواء نتيجة لتلوث الجو.

* أما المؤثر الأخير فهو التصميم الهندسي للمجمع الشمسي نفسه حيث ان هناك مجمعات يمكنها امتصاص كمية من الأشعة الشمسية أكبر من غيرها، وهذا يرجع الى المواد الداخلة في تصنيع هذه المجمعات.

وكما أن هناك أجهزة لقياس درجات الحرارة والضغط، فان هناك أيضا أجهزة لقياس كمية الأشعة الساقطة على الأرض سواء كانت هذه الأشعة مباشرة أو شاملة.

وأما عن أوجه الاستعمالات التطبيقية للطاقة الشمسية، فانه لابد من القيام بدراسات واسعة لمعرفة وتقييم كمية الشمس المتوفرة لدينا في المملكة. وتتضمن هذه الدراسات مسحا شاملا لمختلف أجزاء المملكة عن طريق انشاء محطات رصد للأشعة الشمسية على مدار السنة ومن ثم رصد هذه المعلومات على خرائط جغرافية تمكنّ الباحث من معرفة كميات الأشعة المتوفرة في أي منطقة معينة.

وبعد.. فانه يمكن القول بأن كمية الأشعة الشمسية والمؤثرات الخارجية التي تحد من قوتها تعتبر القياس الطبيعي والعملي لتقدير كمية الطاقة الممكن استخلاصها من الشمس والتي يمكن استخدامها في أغراض التبريد والتدفئة أو تسخين المياه أو تحليتها □



أول مجمع متكامل لصناعة الحديد والصّلب في مدينة الجبيل الصناعية في المنطقة الشرقيّة من المملكة، ودعامة قوية في صرح الهيكل الصناعي الشامخ ضمن خطة الدولة الرامية إلى تنويع مصادر الدخل والاستفادة من الموارد والثروات الطبيعية المتوفرة في المملكة، وخطوة واسعة في مسيرة الاكتفاء الذاتي لاحتياجات المنطقة من قضبان وأسلاك التسليح اللازمة لأعمال البناء.

لفات ضخمة من اسلاك التسليح جاهزة للشحن وتزن كل لفة اكثر من طن.

الشركة السّعودية للحديد والصّلب

حديد لبنة في صرح

الصناعات الأساسية الثقيلة

اعداد : يعقوب سلام / هيئة التحرير

ان القضبان واسلاك التسليح المستخدمة في أعمال الانشاءات والمباني هي من أهم العناصر الاساسية الواجب توفرها لانجاز المباني والمنشآت السكنية، ولما كانت البلاد تعيش في الوقت الحاضر عصر نهضة عمرانية شاملة، فان الحاجة تدعو الى تأمين هذه المواد الاساسية وتوفيرها في الاسواق. وبعد دراسة شاملة مستفيضة لاحتياجات البلاد من هذه المواد الرئيسية الضرورية، قامت الشركة السعودية للصناعات الاساسية «سابك» وهي شركة حكومية تندرج ضمن اطارها العديد من الشركات الصناعية الحديثة في المنطقة الشرقية من المملكة، بهدف تأمين الاحتياجات من مختلف المواد الاساسية اللازمة في عصر التطور الحديث الذي تعيشه المنطقة وتأمين الاكتفاء الذاتي من مثل هذه الاحتياجات. ومن بين هذه الشركات الاساسية الشركة السعودية للحديد والصلب «حديد»



فرن القوس الكهربي اثناء صب الصلب المصهور في احدى البواتق الخاصة.

حوض الترسيب والتنقية لمياه التبريد التابع لمصنع الاختزال المباشر ويبلغ قطره حوالي ٤٢ مترا. ومهمته تبريد المعدات وتنقية مياه التبريد من الشوائب.

موقع وتاريخ انشاء الشركة

تقع الشركة السعودية للحديد والصلب «حديد» في منطقة الجبيل الصناعية التي تختص معظم الصناعات الاساسية في المنطقة الشرقية من المملكة، وتبعد عن مدينة الدمام حوالي ١٢٠ كيلومترا. وتتوفر في هذه المنطقة الصناعية الكثير من المزايا المطلوبة لقيام الصناعات الثقيلة، فهي قريبة من البحر حيث يتم عن طريق الميناء الحديث هناك، استيراد العديد من المواد الخام التي تحتاجها الصناعات الثقيلة، ووجود شبكة ممتازة من طرق المواصلات تربط المنطقة بارجاء المملكة، وتوفير الملايين من جالونات ماء البحر اللازمة لعملية تبريد الآلات الضخمة في هذه المصانع، اضافة الى قرب المنطقة من مصادر الغاز الطبيعي الذي يلعب دورا اساسيا في تزويد الصناعات الثقيلة في المنطقة الشرقية باحتياجاتها من الطاقة.

تأسست الشركة السعودية للحديد والصلب «حديد» في شهر ربيع الثاني عام ١٣٩٩هـ الموافق مارس عام ١٩٧٩م حيث تم في ذلك التاريخ توقيع عقد التأسيس كشركة تضامن بين الشركة السعودية للصناعات الاساسية «سابك» — وهي شركة حكومية تهدف الى اقامة صناعات اساسية كبرى وتملك نسبة ٩٠ في المائة، وشركتان المانيتان غربيتان وتملكان ١٠ في المائة من شركة «حديد». وقد اشترت «سابك» حصة احدى الشركتين الالمانيتين مؤخرا بحيث اصبحت «سابك» تملك حوالي ٩٥ في المائة من الشركة. ويبلغ رأسمال الشركة حوالي ثلاثة آلاف مليون ريال، ويعمل لديها حوالي الفي شخص ما بين مهندس واداري وعامل جلهم من السعوديين.

البنية الهيكلية للشركة

تعتبر الشركة السعودية للحديد والصلب «حديد» كما اشرنا آنفا، أول مجمّع متكامل للحديد والصلب في المملكة العربية السعودية، وتضم ثلاثة مصانع حديثة مزودة بالمعدات المتطورة وغرف المراقبة ووسائل السلامة، وهذه المصانع هي: «مصنع الاختزال المباشر»، و«مصنع الصلب» و «مصنع الدرفلة». ويحتل



المهندس سلامة السويد امام نموذج لمصنع الاختزال المباشر يشرح الطريقة التي يعمل بها المصنع.

المجمّع الصناعي مساحة تبلغ ٤،٤ كيلو مترات مربعة، وتم انشاء المصانع الثلاثة فوق حوالي ربع هذه المساحة حيث اخذ في الحسبان امكانية احداث توسعات في المصانع ومنشآت الشركة عندما تستدعي الحاجة الى رفع الطاقة الانتاجية من منتجات الحديد والصلب المختلفة.

مصنع الاختزال المباشر

يضم هذا المصنع وحدتين رئيسيتين من نوع «ميدريكس» للاختزال المباشر، ووحدة لتنقية الغاز من الكبريت المرافق، ووحدتين لكبس الرواسب المتخلفة بعد عملية الاختزال. أما بالنسبة لوحدة تنقية الغاز فهي من ضروريات مصنع الاختزال لكنها ليست قيد العمل نظرا لأن الغاز الذي يستخدمه المصنع يرد من مرافق ارامكو للغاز القريبة، وهو في العادة يصل الى المصنع بعد تنقيته من الكبريت. لكن وجود الوحدة امر ضروري بحيث يمكن تشغيلها عند الحاجة اليها.

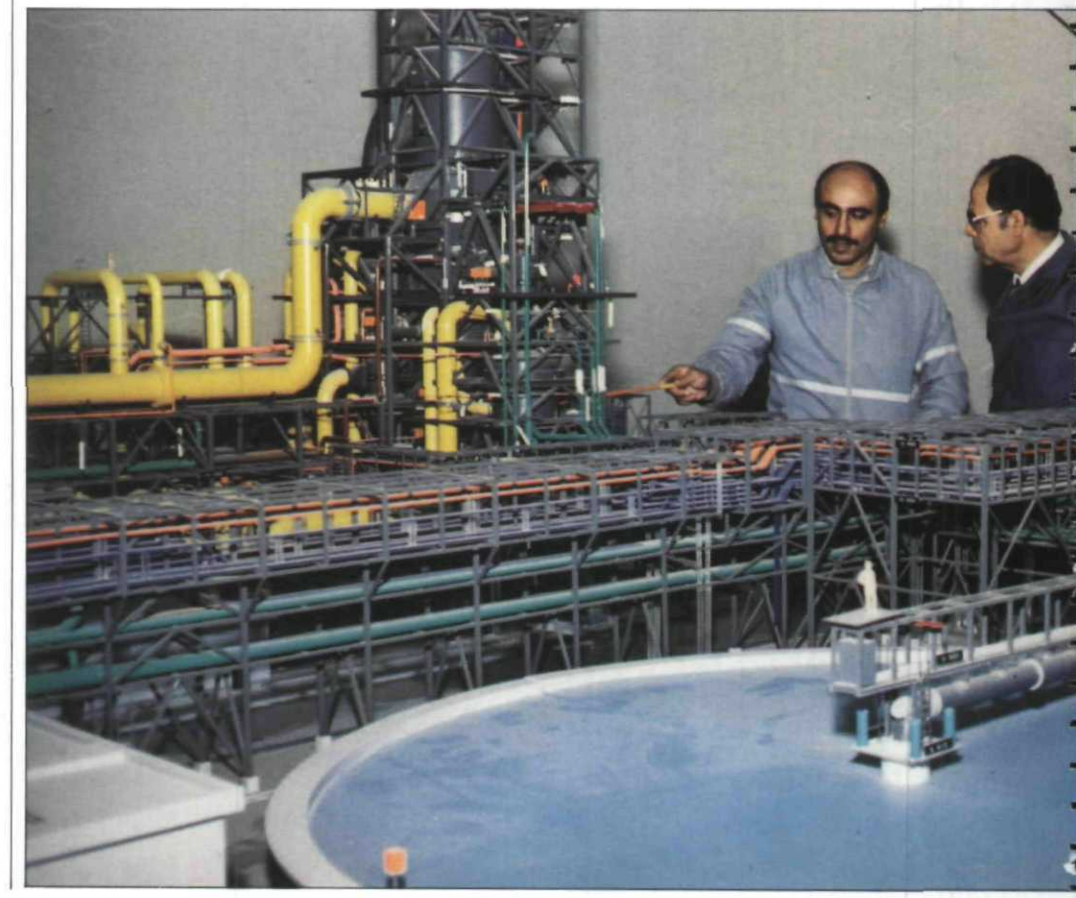
ويوجد في المعمل ساحة كبيرة لتخزين «خام الحديد Iron ore » بطاقة تخزين تبلغ ٤٠٠ الف طن، ويصل خام الحديد الى المصنع عن طريق ميناء الملك فهد الصناعي بالجبيل حيث تصل السفن المحملة بخام الحديد الى الميناء وتنقل الى المصنع بواسطة السيور المتحركة المغطاة والتي تنقل الخام من الميناء مباشرة الى المصنع، ويبلغ طول هذه السيور ١٣،٦ كيلو مترا.

وتتألف كل من وحدتي «ميدريكس» من فرن عمودي رئيسي لاختزال الاكسجين من الحديد الخام عن طريق التفاعل الكيميائي بين أول اكسيد الكربون والهيدروجين مع اكسيد الحديد حيث يتم في النهاية انتاج «الحديد الاسفنجي — Sponge Iron » وهو الحديد الذي يرسل بواسطة السيور المتحركة الى مصنع الصلب حيث يجري صهره وتصنيعه في شكل كتل من الصلب — Steel Billets ».

هذا وتقوم وحدة التبريد في مصنع الاختزال بتبريد الحديد الاسفنجي حيث تصل الحرارة في الفرن العمودي الى أكثر من ٨٠٠ درجة مئوية،ويتم تبريده حتى تتدنى حرارته الى حوالي ٤٥ درجة مئوية وحتى يصبح بالامكان نقله بواسطة السيور المتحركة. وتقوم المرشحات في وحدة التبريد بتنقية المياه التي تستخدم في عملية التبريد، من الشوائب التي تهبط الى القاع، ويتم فصلها والتخلص منها. ويستخدم المصنع المياه النقية في عملية التبريد والتي تبرد بدورها بواسطة مياه البحر المجلوبة الى المصنع عن طريق قناة مزدوجة تستخدم واحدة منها لتبريد المياه الخارجة من المصنع وذلك عن طريق عملية التبادل الحراري، وتعود القناة الأخرى بالمياه الى البحر بعد تنقيتها من الشوائب. وتستمر عملية التبريد هذه بشكل دوار حيث تتم الاستفادة من المياه الى أقصى حد ممكن.

أما عملية الاختزال فتتم باستخدام غاز الميثان الذي يحول الى غاز الاختزال عن طريق «غرفة التهذيب — Reformer Box » المزودة بحوالي ٢٨٨ انبوبا. وكل واحد من هذه الأنابيب ممتلىء بعامل مساعد، حيث يدخل غاز «الميثان» الى هذه الأنابيب، وبتأثير الحرارة العالية التي تصل الى ١٠٠٠ درجة، اضافة الى العامل المساعد، يتم انتاج غاز الاختزال الذي يستخدم في الفرن العمودي. ويتكون غاز الاختزال من أول اكسيد الكربون والهيدروجين، وينتقل من مكان الى آخر بواسطة مضخات خاصة وذلك لاعادة استخدام الغازات مرة اخرى. ويستخدم الغاز العادم الموجود في غرفة الاحتراق كعامل عازل لمنع التفاعلات الكيميائية في المصنع وكعنصر تحكم في الفرن ويحول دون اختلاط غاز الاختزال الموجود في الفرن مع الهواء، كما يستخدم في طرد الغازات السامة والحارقة ويحولها الى غازات «خام» او بليدة.

ويوجد في مصنع الاختزال نموذج مصغر للمصنع وقد طليت الانابيب بمختلف الالوان بهدف التعرف اليها ومعرفة المهام التي تؤديها في المصنع. ويستخدم هذا النموذج في اعمال تدريب الموظفين السعوديين اضافة الى استخدامه كوسيلة للشرح للعديد من زوار المصنع بهدف اخذ فكرة عن هذا المشروع الحيوي والأول من نوعه في المملكة،ويتولى المهندس «سلامة محمد السويد» وهو من خريجي جامعة ليفربول في بريطانيا ومدير



الصيانة والكهرباء والميكانيكا في مصنع الاختزال، مهام تدريب الموظفين السعوديين على ادارة المصنع وتشغيله وصيانته. وينتج مصنع الاختزال ٨٠٠ الف طن من الحديد الاسفنجي في العام.

مصنع الصّلب

تتألف تجهيزات المصنع الرئيسية من ثلاثة افران قوسية كهربية سعة كل منها ١٢٠ طنا من الحديد المصهور، وثلاث آلات للصب المستمر،كل منها يحتوي على ست قنوات لصب الصلب المصهور، ومعمل لانتاج الاكسجين بطاقة ٢٠ الف طن سنويا.

وتبلغ طاقة الصهر في مصنع الصلب ٨٠٠ الف طن من الحديد الاسفنجي في العام و ١٠٠ الف طن من الحديد الخردة المحلية و٥٠ الف طن من الجير المنتج محليا، وتبلغ درجة الحرارة داخل الأفران القوسية الكهربية حوالي ١٧٠٠ درجة مئوية.

ويعمل مصنع الصلب بالتنسيق مع مصنع الاختزال المباشر المجاور حيث تنتقل مكورات الحديد الاسفنجي بواسطة السيور المتحركة الى معمل الصلب حيث يتم شحنها داخل الافران القوسية الكهربية الثلاثة والتي تتسع لحوالي ١٢٠ طنا من الصلب المصهور، وتشحن الافران بما يعادل ٨٠ في المئة من سعتها



بالحديد الاسفنجي و ٢٠ في المئة من الحديد الخردة والذي تحصل عليه الشركة من أرامكو. وبعد ان يتم تقطيع الحديد الخردة، يخلط مع الحديد الاسفنجي، ويضاف الجير الحي داخل افران الصهر. والغرض من استخدام الجير الحي هو استخلاص الشوائب من الحديد كالسليكون واكسيد الالمنيوم وغيرها، والتي تؤثر بدورها على الخواص الميكانيكية للصلب، وتتم هذه العملية عن طريق صهر الجير الحي المحلي الذي يتفاعل مع مصهور الحديد ويطفو على السطح حاملا هذه الشوائب حيث يتم كشطه عن السطح والتخلص منه.

بعد الانتهاء من عملية الصهر داخل الافران القوسية الكهربية، يصب الحديد المصهور في بواتق ضخمة سعتها ١٢٠ طنا من الحديد المصهور، ثم يرسل بواسطة رافعات وآليات خاصة الى وحدة الصب المستمر. وتؤخذ عينات من الحديد المصهور من كل

بوتقة وترسل الى مختبر الجودة في المصنع حيث تفحص للتأكد من مطابقتها للمواصفات المطلوبة محليا ودوليا.

ولدى وصول الصلب المصهور الى وحدات الصب المستمر يدفع المصهور داخل قوالب خاصة قطرها ١٣٠×١٣٠ مليمترا وتقطع كتل الصلب آليا بأطوال تبلغ ١٤ مترا للكتلة الواحدة. وبهذا يتم الحصول على كتل من الصلب غير الكامل التصنيع. وتمر كتل الصلب في مراحل للتبريد حيث تقلب بحركة منتظمة للاحتفاظ بشكلها المستقيم الى ان تبرد طبيعيا وتخزن في مواقع قريبة من مصنع الدرفلة حيث يجري تصنيعها على شكل قضبان واسلاك للتسليح حسب الطلب.

والجدير بالذكر ان معمل الصلب يستخدم كميات هائلة من المياه النقية لتبريد المعدات والآلات وكذلك جسم الفرن الذي تصل حرارته الداخلية الى حوالي الفي درجة مئوية. وتعمل الافران القوسية الكهربية بالطاقة الكهربائية المستمدة من محطة غزّلان القريبة.

وتوجد في مصنع الصلب وحدة ضخمة لترشيح الابخرة والغازات التي تولدها الافران للمحافظة على البيئة،ويتم شفط هذه الابخرة والغازات وتنقيتها وتنطلق نظيفة في الجو. اما الاتربة الضارة فيتم جمعها وتكويرها ودفنها في باطن الارض داخل حدود المصنع حسب النظم المتفق عليها مع الهيئة الملكية للجبيل وينبع.

وينتج مصنع الصلب ٨٥٠ الف طن من الصلب في العام، ويعمل فيه حوالي ٥٠٠ شخص، ويقول المهندس «نعمان علي الشيخ»، مدير الصيانة: «اننا حريصون جدا على اتباع انظمة السلامة وتطبيقها ومراعاة قواعدها في المصنع . وتبعا لذلك، فاننا نزود العاملين بمختلف وسائل السلامة الكفيلة بوقايتهم من اية اخطار محتملة».

٣



١ــ وحدتا النيتروجين والاكسجين السائلين في مصنع الاختزال المباشر

٢ ــ تندفع كتل الصلب آليا من فرن التسخين عندما تصل حرارتها الى ١٢٠٠ درجة مئوية، الى مكائن الدرفلة المتعددة الاحجام والقياسات.

٣ ــ كتل الحديد خارجة من آلات الصب المستمر.

مصنع الدرفلة

هذا المصنع هو احد المصانع الثلاثة التي انشأتها الشركة السعودية للحديد والصلب «حديد». وهو يتألـف من وحدتين رئيسيتين مستقلتين، احداهما لانتاج قضبان التسليح والاخرى لانتاج اسلاك التسليح، وتبلغ الطاقة الانتاجية للوحدتين معا ٨٠٠ الف طن سنويا.

وتستقبل هاتان الوحدتان كتل الحديد الصلب التي يتم تصنيعها في وحدات الصب المستمر بمصنع الصلب والتي يبلغ طول القطعة الواحدة منها ١٤ مترا ومقطعها ١٣٠×١٣٠ مليمترا. وبواسطة الرافعات المغناطيسية تعد كتل الصلب فوق منصة خاصة بحيث تندفع هذه الكتل وتواصل رحلتها المبرمجة بالكمبيوتر داخل فرني التسخين حيث تجري اعادة تسخينها الى ان تصل الى ١٢٠٠ درجة مئوية. ويجري تقليب الكتل الحرارية داخل الفرن تلقائيا لتوزيع الحرارة عليها بالتساوي. وتظل هذه الكتل داخل الفرن مدة ساعة، ومتى وصلت الى درجة الحرارة المطلوبة تندفع تلقائيا خارج الفرن عبر قنوات خاصة وتتجه نحو معدات الدرفلة وعددها ٢٥ آلة مختلفة الاحجام والمقاييس.

وتستمر رحلة كتل الصلب خلال معدات الدرفلة حيث تمر عبر ثقوب خاصة في هذه المعدات باحجام مختلفة الى ان تبلغ نهاية المطاف وتكون قد تحولت الى منتجات من القضبان واسلاك التسليح، تتراوح احجامها ما بين ١٢ مليمترا و ٣٢ مليمترا. وتقطع قضبان التسليح هذه حسب الاطوال التي تتمشى مع متطلبات اعمال البناء. وتكون الاسلاك على شكل لفات كبيرة الحجم وبالامكان اعادة تجليسها في وحدة خاصة بذلك في مصنع الدرفلة وتقطيعها حسب طلب المستهلك. وتستخدم الاسلاك عادة في المباني الجاهزة وغيرها من الخرسانة المسلحة.

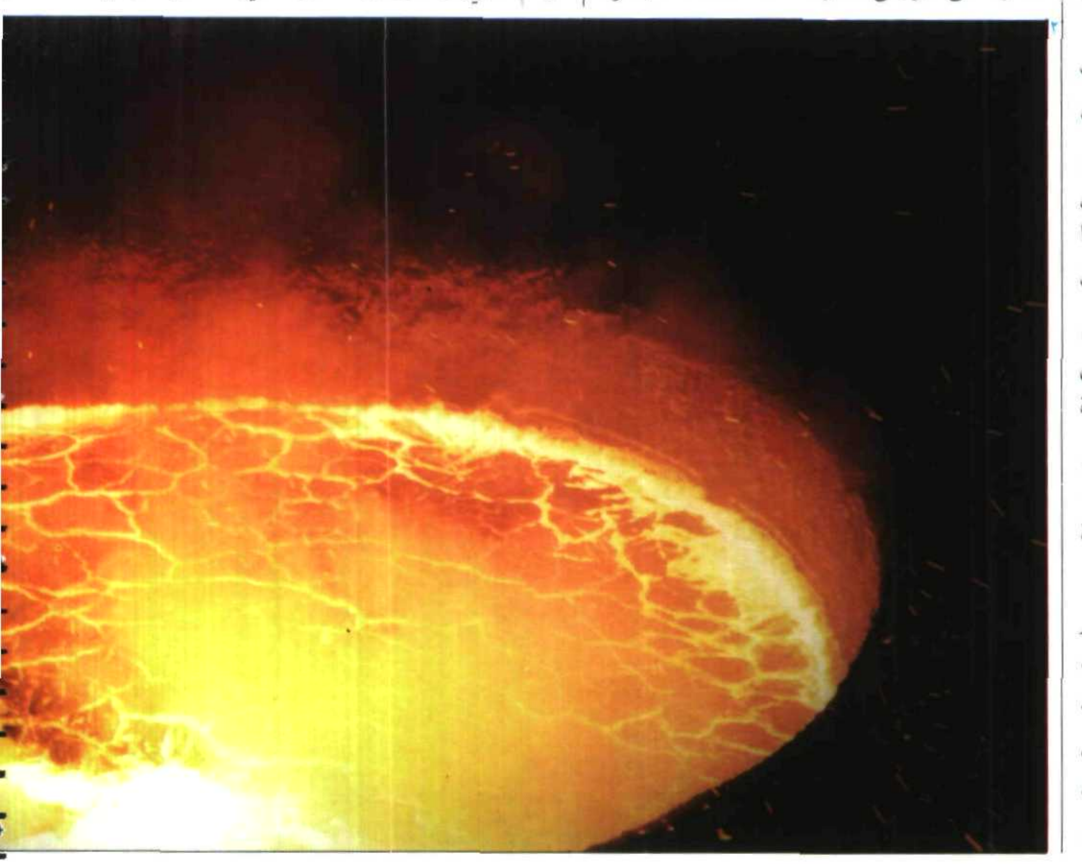
وعن الاهداف البعيدة المدى التي تنظر اليها شركة «حديد» قال المهندس مبارك محمد القحطاني، نائب الرئيس التنفيذي لشركة الحديد والصلب «حديد»: ان الهدف الذي نسعى لتحقيقه هو تزويد السوق المحلية باحتياجاتها من قضبان واسلاك التسليح في المرحلة الاولى، ومن ثم تغطية الاسواق الخليجية بجزء مما تحتاجه من قضبان واسلاك تسليح اضافة الى تدريب الايدي الوطنية على الصناعات الاساسية والحديد من السلع الاستراتيجية».

وتقدر احتياجات السوق المحلية بحوالي ١٤٠٠٠٠٠ طن من اسلاك وقضبان التسليح، وقد انتجت شركة «حديد» في عامها الاول حوالي ٢٥٠ الف طن، ومن المنتظر أن يرتفع انتاجها خلال العام الجاري الى ٦٠٠ الف طن من القضبان والاسياخ اضافة الى ١٦٥ الف طن من كتل الصلب. ويتوقع المسؤولون ان يصل انتاج الشركة السعودية للحديد والصلب «حديد» خلال عام ١٩٨٥ الى حوالي مليون طن سنويا.

مركز التدريب في الشركة

أنشيء المركز في ذي القعدة ١٤٠٢هـ الموافق لأغسطس من عام ١٩٨٢، وبدأ في اعداد الشباب السعوديين الذين التحقوا للعمل مع شركة الحديد والصلب من خريجي المدارس الثانوية والمتوسطة. ويضم مركز التدريب العديد من الورش الفنية ذات العلاقة المباشرة بمتطلبات صناعة الحديد والصلب مثل ورشة الميكانيكا التي تشتمل على اقسام اللحام القوسي والغاز، والطّرْق والتقسية والصفائح والمواسير وكذلك ورش الكهرباء والالكترونيات والهيدروليك والضغط الهوائي اضافة الى قسم الرسم الفني والدروس النظرية التي تشتمل على





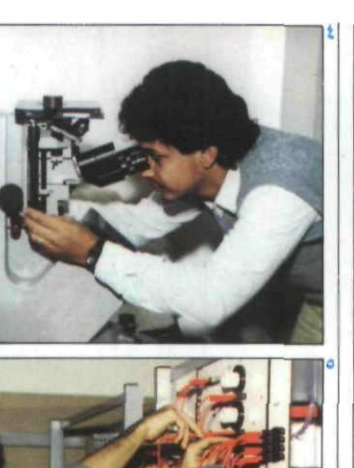
التكنولوجيا النظرية والعلمية واللغة الانجليزية والرياضيات والفيزياء والكيمياء.

وفي حديث مع الاستاذ احمد حسن القضيب، مدير ادارة تنمية القوى العاملة والتدريب في شركة الحديد والصلب «حديد» عن شؤون التدريب قال: «لقد بدأنا عمليات التدريب منذ انشاء المصنع وقد قامت الشركة بابتعاث عدد من السعوديين لتلقي التدريبات اللازمة لصناعة الحديد والصلب في الخارج مثل المانيا والنمسا والولايات المتحدة الامريكية نظرا لأن صناعة الحديد صناعة جديدة في المملكة وكان لابد لنا في البداية من ارسال اعداد من السعوديين لتلقي هذه التدريبات واكتساب المهارات والتكنولوجيا اللازمة لهذه الصناعة في مصانع مماثلة خارج المملكة. ونحن الآن بصدد التركيز على تأمين مثل هذه التدريبات هنا في مركز التدريب حيث تتوفر مختلف انواع الورش الفنية والخبرة اضافة إلى تدريبات اثناء العمل. ويعتبر مركز التدريب هنا مصنعا لتخريج الرجال العاملين في شركة «حديد» حيث يتم تدريبهم لتنمية مهاراتهم وقدراتهم حتى يتسنى لهم فيما بعد ادارة وتشغيل مرافق هذه الشركة».

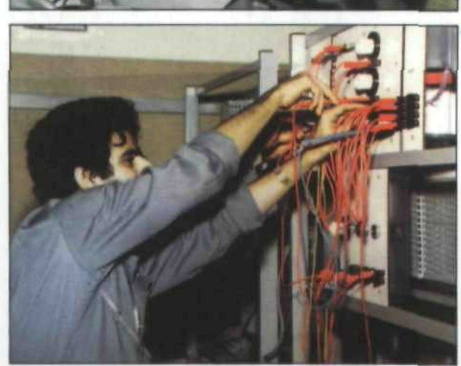
٣



٤



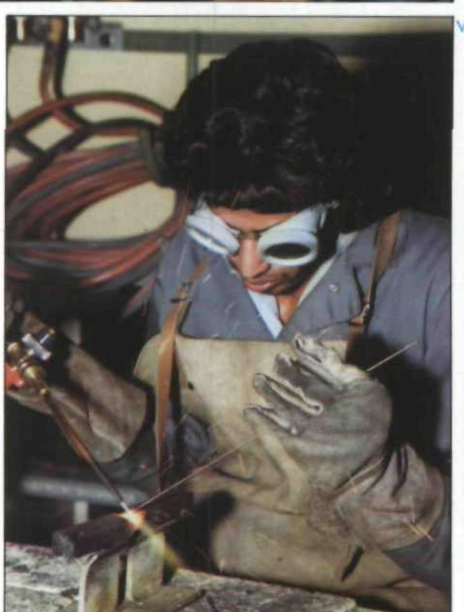
٥



٦



٧



١ـ المهندس مبارك محمد القحطاني نائب الرئيس التنفيذي لشركة الحديد والصلب «حديد».

٢ ـ الصلب المصهور في احدى البواتق الضخمة وتتسع لحوالي ١٢٠ طنا قبيل حمله الى آلات الصب المستمر.

٣ـ الاستاذ احمد القضيب مدير ادارة تنمية القوى العاملة والتدريب.

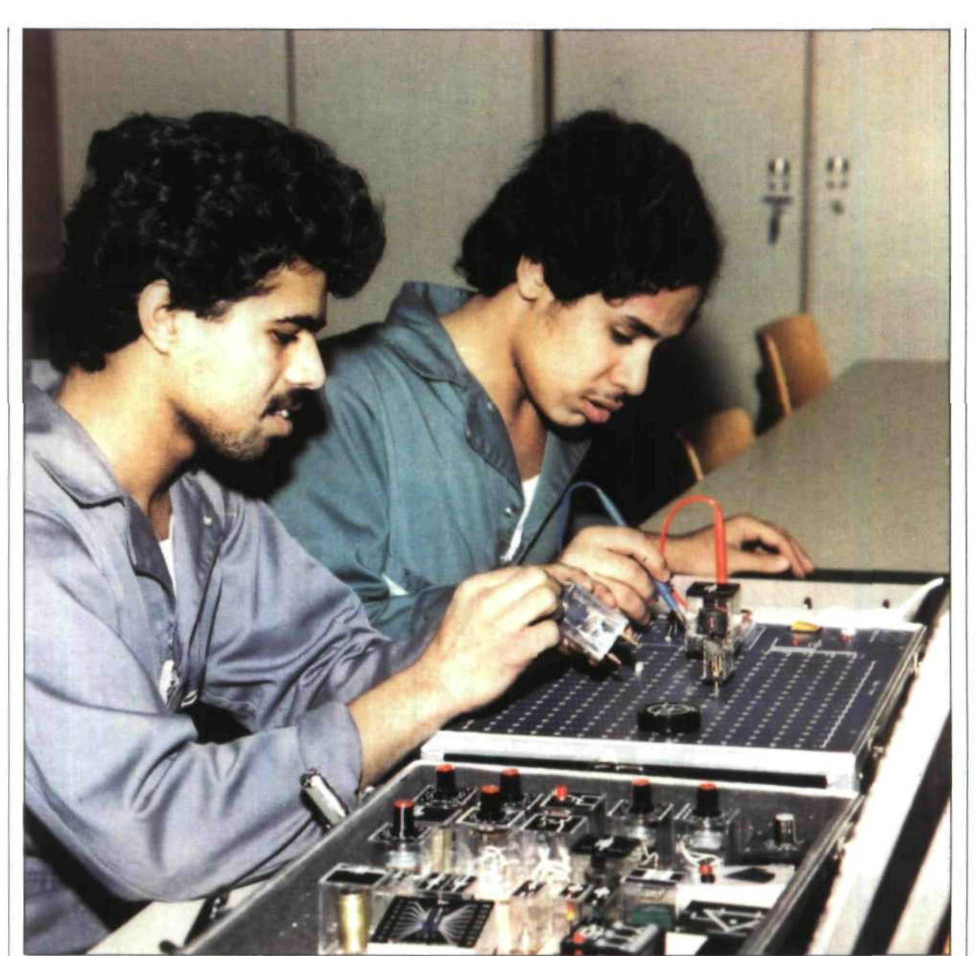
٤ ـ احد الاجهزة الحديثة الموجودة في ادارة المواد الخام والفحوصات النوعية حيث يتم فحص مختلف العينات خلال تصنيع واعداد كتل الصلب.

٥ ـ متدرب خلال حصة الكهرباء في مركز التدريب بشركة «حديد».

٦ ـ متدرب يتدرب على احدى المخارط في ورشة مركز التدريب.

٧ ـ اعمال اللحام والقطع بالاكسجين من الحرف الفنية التي يتدرب على اتقانها الفنيون الملتحقون بمركز التدريب التابع لشركة «حديد».





متدربان في ورشة الالكترونيات بمعمل الحديد والصلب اثناء حصة التدريب على الالكترونيات.

المختبرات

يضم المجمع الصناعي للحديد ثلاثة مختبرات مجهزة باحدث المعدات والادوات حيث تجري فيها الاختبارات على الحديد الخام منذ وصوله الى الميناء وحتى خروجه مصنّعا بشكله النهائي. ففي مختبر مصنع الاختزال تحضر عينات من خام الحديد وتفحص للتأكد من مطابقتها للمواصفات المطلوبة والتعرف الى مكوناتها الكيميائية. وعندما تدخل هذه العينات بواسطة السيور المتحركة الى فرن الاختزال وتخرج منه، تجرى عليها الاختبارات مرة اخرى للتأكد من نسب الحديد فيها والكربون وغير ذلك من مكونات خامات الحديد الاسفنجي المختزل.

وفي مصنع الصلب حيث يصهر الحديد الاسفنجي وحديد الخردة ويصب في بواتق ضخمة سعة الواحدة منها ١٢٠ طنا. تؤخذ عينات من مصهور الحديد وتدفع عبر انابيب خاصة متصلة بمختبر مراقبة وضبط الجودة. وخلال دقائق معدودات، تظهر على شاشة خاصة قريبة من بوتقة الصب نتائج الفحص. فاذا ما وجد المهندسون المراقبون ان نتائج الفحص مطابقة، للمواصفات السعودية، والعالمية، دفعوا البوتقة آليا الى وحدات الصب المستمر، والا اضطروا الى اجراء الاضافات الكيميائية اللازمة في حال وجود نقص فيها، او حرق الزائد منها بواسطة الاكسجين في حال وجود زيادة في معدلها.

وبعد ان يتم صب الحديد المصهور على شكل كتل من الصلب، يجري قطع وصلات منها بواسطة المنشار الكهربائي، ثم ترسل هذه القطع الصغيرة الى المختبر لفحصها والتأكد من مكونات الحديد فيها.

وتستمر عملية الفحص والمراقبة خلال دخول كتل الحديد الى مصنع الدرفله حيث يتم فحص الناتج النهائي والذي يكون عادة على شكل قضبان واسلاك للتسليح.

وتلعب المختبرات دورا رئيسيا في الحفاظ على جودة المنتجات النهائية للشركة، وقد زودت هذه المختبرات بمعدات حديثة بالغة التعقيد ودقيقة جدا من اهمها جهاز «Spectrometer»، وهو جهاز حديث يستخدم الطيف في اختبار المواد التي يتكون منها الصلب اضافة الى اجهزة لدراسة الخواص الميكانيكية والتحليل بالمجهر وغيرها. ويعمل في هذه المختبرات عدد من المهندسين السعوديين من ذوي الكفاءات العالية في هذا المجال.

مصنع الاكسجين

يتم استخدام الاكسجين في المجمّع الصناعي للحديد والصلب بشكل واسع وفي جميع مراحل التصنيع منذ ان يصل خام الحديد الى مصنع الاختزال وحتى ينتهي به المطاف في مصنع الدرفلة. كما انه يستخدم في عمليات القطع وحرق المواد الكيميائية الزائدة في صهارة الحديد. وقد انشىء المصنع بهدف تأمين الاحتياجات اللازمة من الاكسجين للمجمّع الصناعي. ويبلغ انتاجه ٢٠ الف طن في العام.

وهناك العديد من الرافعات الآلية المغناطيسية تتولى عملية تجميع كتل الصلب وترتيبها في منصات التخزين واعدادها لمواصلة رحلتها حسب برامج الكمبيوتر الى مصنع الدرفلة حيث تندفع هذه الكتل الى افران مصنع الدرفلة ومن ثم الاستمرار في رحلتها عبر اجهزة الدرفلة لتخرج في آخر المطاف على اشكال قضبان واسلاك للتسليح واعمال الانشاءات الاخرى.

وبعد .. فان مجمّع «حديد» هو دعامة ضخمة في الصرح الاقتصادي ولبنة قوية للاكتفاء الذاتي في مجال الصناعات الاساسية الثقيلة الاولى من نوعها في المملكة العربية السعودية □

تصوير: محمد صالح آل شبيب

نجمة وأغنية

أحمد محمد المعتوق / فيلادلفيا - بنسلفانيا



كم تذكرتُ سنينا
كفراشات بحقل العمر رفت
كعصافير من الضوءِ
تشق الغيمِ
تدحو الفجر في قبتنا
تقرع كاسا
ترسم الكون على شبابتي اسطورةً
كصلاة في ربى الابرار تسمو
كابتسم الورد همسا
كم تذكرت سنينا عند عرش النورِ
عرسا تنقش الدنيا
فما أحلاه عرس النور ذكرى
اذكري النجم الذي عشنا صباه
يوم عشناه كراما في فناه
وتساءلنا : قديما من بناه
من سقاه العطرَ
من صاغ حلاه
وشوشات الطائر المسحورِ
هل طافت رباه
هل قديما كانت الشمس صبية
تسكب الدمع بأحضان العشية
تمسح الجفن بهالات الشموع
تقطع الدهر حثيثا
وتسير الدرب تهفو لخطاه
تطلع الفجر بجفنيهِ
وان اغفت تعانق مقلتيها شفتاه
يخفق الكأس بكفيها حنينا
حين تصحو
أسفا ان لا تراه
هل رؤى الآصال كانت مجمرا
يحرق العود لسمراء اصطفاها

يوم أن زفت اليه
فانحني النجم وحيّا طفلة الشمسِ
ورقّت طفلة الشمس عليه
غمغمت عيناه شعرا
نظم العطر قصيدة
صاغ لحنا مخمليا
كوكب الحلم نشيده
غرتُ لما قبّل النجم خطاكِ
وانحنى يمسح خدهْ
وهوى كالطير يقطفْ
ثمر الجنة وحدهْ
واستحالت باقة الورد أوار فاح زنده
وتلظى
واشتهى في الحلم لو طالت مودّه
وقضى الآصال ساه
ساهرا يقرأ وِرده
لست وحدي افتدي السحر بعينيكِ
استطاب الخلق ورده

أهم الآفات الحشرية وطرق مكافحتها بالمملكة

تعتبر الزراعة أحد مقومات الاقتصاد القومي بالمملكة العربية السعودية، ولذا فهي تعمل على النهوض بالثروة الزراعية والحفاظ عليها ووقايتها من الآفات الحشرية والحيوانية وكذلك من الأمراض النباتية البكتيرية والفطرية وغيرها. ويعتمد الكثير من المزارعين على مكافحة الآفات برش محاصيلهم بالمبيدات المختلفة. ونظرا لما لهذه المبيدات من آثار سيئة على الانسان والحيوان والنبات فقد اتجهت الأنظار الى طرق أخرى بديلة عن المبيدات التي تستخدم عند الضرورة القصوى فقط وفي أقل حدود ممكنة.



نطاط يلتهم أوراق المزروعات

وعلى العموم فان المكافحة الحديثة هي ما تسمى بالمكافحة المتكاملة، أي استخدام أكثر من طريقة لمكافحة الآفة الواحدة، في الوقت نفسه، ليكمل بعضها بعضا في القضاء عليها، فمثلا عند مكافحة آفة حشرية معينة نبدأ باعداد الأرض للزراعة كالحرث الجيد لتعريض الآفة للطيور والعوامل الجوية، كما يمكن عند الحرث اضافة مبيد للحشائش وتقليبه بالتربة فتخلو الأرض من الحشائش ويقوى النبات وحتى لا تكون تلك الحشائش مصدرا للعدوى. وبعد نمو النبات، يُعتنى بريه وتسميده حتى يقوى ويستطيع مقاومة الآفة، ويمكن أيضا استخدام بذور أو تقاوى سلالات منيعة ضد الاصابة بالحشرات. واذا ظهر أعداء طبيعيون (حشرات وحيوانات مفترسة ومفيدة تتغذى على تلك الآفات الضارة) يترك الأعداء الطبيعيون لافتراس الآفات الضارة، وفي النهاية اذا مازادت أعداد الآفات الضارة على الحد المعقول فلابد من استخدام المبيدات في أضيق الحدود.

وليكن من المعلوم أنه لابد من مرور فترة من الزمن بعد آخر رشة من أي مبيد على أي محصول وجمع ذلك المحصول وتسويقه، حتى المتبقي من ذلك المبيد على المحصول المذكور قد قل لدرجة أصبح فيه غير سام.

وأما الطرق الأخرى لمكافحة الحشرات الضارة والبديلة للمبيدات الحشرية السامة فمنها:

طرق المكافحة الميكانيكية

وضع أسلاك منخلية على النوافذ لمنع دخول الذباب والبعوض. وحفر خنادق في أماكن توالد الجراد في الوديان الصحراوية كي تسقط فيها الحوريات أثناء تجوالها اليومي. ثم تردم تلك الخنادق لقتل الحوريات.

طرق المكافحة الطبيعية

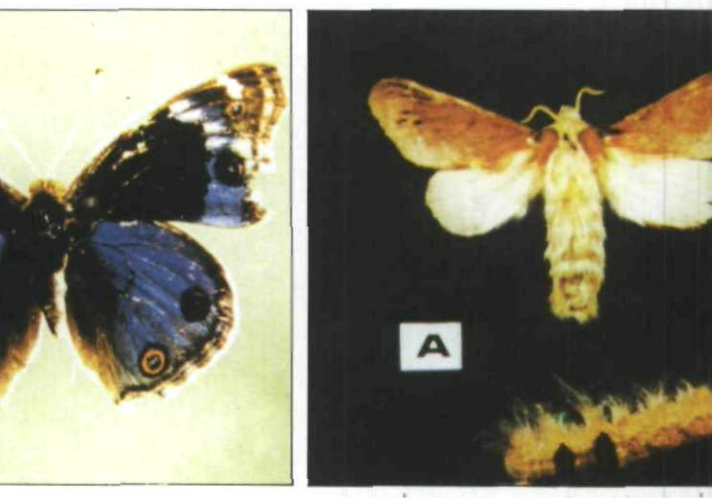
استخدام الحرارة (ماء مغلي أو هواء ساخن) في قتل القمل بالملابس في المستشفيات، أو حرارة الأفران أو الشمس في دود التمر.

طرق المكافحة الزراعية

استخدام تقاوى نباتات منيعة ضد الاصابة بالآفات والعناية بتجهيز الأرض من حرث وري وتسميد ليكسب النبات قوة وتنخفض نسبة اصابته بالآفات، أو زراعة نباتات كمصائد (تفضلها الآفة الحشرية على المحصول الرئيسي) بين نباتات المحصول الرئيسي.

العربية السعودية

بقلم: الدكتور شاكر محمد حماد / جامعة الملك فيصل



دودة أوراق الرمان حيث تتغذى اليرقة على أوراق الرمان


أبو دقيق البرسيم البنفسجي

طرق المكافحة الحيوية

وهي استخدام حشرات مفترسة ومتطفلة (أي حشرات نافعة مثل حشرة أبو العيد النافعة) ونثرها في الحقول لتتغذى على الآفات الحشرية الضارة.

• اصدار الأنظمة الزراعية المناسبة مثل قوانين الحجر الزراعي لمنع دخول حشرات أو أمراض ضارة من بلد الى آخر، أو حتى من اقليم الى آخر داخل الدولة نفسها.

• استخدام المصائد الضوئية لجذب الحشرات الضارة وابادتها في أوعية بها مواد سامة، أو كما هي الحال في مصائد الذباب والبعوض الضوئية حيث يقتل الذباب والبعوض بعد انجذابه للضوء بتيار كهربائي.

• استخدام مصائد تحوى مواد جاذبة، كمصائد الدبور التي توضع في المناحل. يدخلها الدبور منجذبا الى رائحة مواد متخمرة ولا يستطيع الخروج، وتوجد مواد جنسية جاذبة أي تجذب ذكور أو اناث آفة حشرية معينة لتلقيح الجنس الآخر، ولكن بدلا من ذلك يدخل هذا الجنس الآخر في أوعية معينة لا يستطيع الخروج منها أو يلتصق بأسطح لاصقة لا يستطيع الخلاص منها.

• استخدام المواد الطاردة، كالنفتالين مثلا، لطرد حشرات الملابس أو مواد خاصة يدهن بها جلد الانسان فيبعد عنه الحشرات الثاقبة الماصة كالبعوض وغيره، أو معالجة الأقمشة وقت تصنيعها بتلك المواد، فتقيها من الحشرات، ولا تزول تلك المواد عند صباغة تلك الأقمشة أو غسلها أو كيها.

• استخدام مواد مانعة للتغذية عند رشها على النباتات لا تأكلها الآفة الحشرية اذ لاتستسيغ طعمها ولا تعاود التغذية عليها.

• استخدام المعقمات الكيميائية، اذ توجد مواد كيميائية عند رشها على النباتات التي تتغذى عليها الآفة الحشرية أو تلمسها، فتعمل تلك المواد على ضمور الأعضاء التناسلية للذكر أو الأنثى أو الجنسين معا وبذلك ينعدم التكاثر.

• استخدام هرمونات الشباب التي تفرزها غدد خاصة بالحشرة، وقد أمكن تحضيرها صناعيا الآن، وعند رش الآفة الحشرية بها تمنعها من اكمال دورة حياتها، وتستخدم تلك المواد بكثرة في «الصوبات الزجاجية» أو المصنوعة من اللدائن، إما بمفردها، أو بعد اضافتها الى مبيد حشري ولكن بتركيزات منخفضة.

• استخدام الطفرات الحشرية، اذ تمكن العلماء من عمل سلالات أو طفرات من الآفات الحشرية بها عيوب أو تشويهات جسمانية، وباكثار تلك الطفرات المشوهة في المعامل ونثرها بالحقول تتزاوج مع الآفات الحشرية المماثلة لها والموجودة في الطبيعة فتنقل لها تلك الصفات المشوهة مثل عدم القدرة على التغذية أو عدم القدرة على وضع البيض وهكذا، وبذلك تصبح الآفة الحشرية الحقلية بعد وقت من الأوقات مشوهة ولا ضرر منها.

والآن ننتقل الى أهم الآفات الحشرية الزراعية الموجودة في المملكة وذكر أفضل الطرق لمكافحتها كيميائيا.

• **آفات النخيل**: لقد سبق الكتابة عنها في مقال منفصل.

• **آفات الرمان**: أبو دقيق الرمان (المسمار) وكذلك ذبابة ثمار القرعيات وتتلف يرقات الحشرتين المذكورتين اللبّ والبذور، وتعالج



العنجوس (الحفار)

برد الثمار بمجرد عقدها بمبيد الاكتلك او البيرثرين— مع تكرار العلاج عدة مرات، وبين الرشة والأخرى نحو ٣ أسابيع.

• **آفات التفاح**: حفار ساق التفاح ودودة ثمار التفاح وتعالج برش الشجرة بمبيد السيفين أو الاكتلك أو البيرثرين، وهي مبيدات نسبة السم فيها قليلة.

• **آفات الحمضيات**: تصاب أوراق وثمار وأفرع أشجار الحمضيات بالحشرات القشرية والبق الدقيق التي تمتص العصارة وتعالج بالرش بالزيوت المعدنية مضافا اليها مبيد الملاثيون كما تصاب الأوراق بشدة بصانعة الانفاق التي تحفر بين غلافي الورقة، وهي يرقة فراشة صغيرة وتسبب تمزق الأوراق وتشوهها، وتعالج بالرش بالسيفين أو الاكتلك أو البيرثرين، اما الثمار فتصاب بشدة، عند ابتداء تلونها، بذبابة ثمار حوض البحر الأبيض المتوسط (في الاحساء لاتوجد الذبابة المذكورة بل تصاب ثمار الحمضيات بذبابة ثمار القرعيات) وتعالج برش الثمار عند ابتداء التلون بالملاثيون أو السوبراسيد — واحد في الألف، أو الاكتلك — واحد في الألف، أو الدايمثويت — واحد في الألف.

• **آفات المحاصيل**: يصاب القمح بحشرة التريس، والذرة بدودة القصب الكبيرة ودودة الذرة الأوروبية، والبرسيم (الجت) بكثير من ديدان رتبة حرشفية الأجنحة مثل الدودة الخضراء ودودة ورق القطن الكبيرة والدودة التي تسبب في التفاف الأوراق وأخيرا خنفساء البرسيم، ويصاب البصل بحشرة تربس البصل.

آفات الخضروات: وأهمها:

— ذبابة ثمار القرعيات التي تصيب ثمار القرعيات بمجرد عقدها وتتلف يرقاتها اللب والبذور، وتصيب نفس الذبابة ثمار الحمضيات (الترنج) والرمان والتفاح والتين والخوخ والمشمش، وتعالج بالرش بالملاثيون أو الاكتلك.

— أبو دقيق الكرنب، وهو أبيض اللون ويطير نهارا وتتغذى يرقاته الخضراء اللون على أوراق نباتات الكرنب (الملفوف) والقرنبيط والفجل واللفت والجرجير، وترش النباتات بالسيفين أو البيرثرين أو الاكتلك.

— دودة قرون الباميا (دودة اللوز الشوكية) وترش ثمار البامية بمجرد عقد الثمار بالسيفين أو البيرثرين أو الاكتلك، ويكرر الرش ٣ — ٤ مرات.

— دودة ثمار الطماطم (دودة اللوز الأمريكية) وتشاهد يرقاتها الكبيرة الجحم تثقب في ثمار الطماطم وتكافح كما في دودة قرون الباميا.

— الدودة القارضة (السرو أو اللافة) وتوجد يرقاتها تحت سطح التربة وتتكور بمجرد لمسها وتتغذى على درنات البطاطس وجذور النباتات وتقرض الساق عند سطح التربة وتكافح برش النباتات المصابة (جميع الخضروات) بالكلوردين

— دودة درنات البطاطس وتصنع يرقاتها انفاقا بين أغشية أوراق نباتات العائلة الباذنجانية، ويستمر النفق الى أن يصل الى الدرنة تحت سطح التربة فتدخلها اليرقات وتتلفها، وتعقب الاصابة دخول الفطر، ويستمر تكاثر الحشرة المذكورة في المخازن وتعالج برش النباتات في الحقل بالسيفين أو البيرثرين أو الاكتلك وفي المخزن يوضع مسحوق الاكتلك بين طبقات درنات البطاطس بمعدل كيلو جرام واحد اكتلك لكل طن بطاطس.

— العنجوش (الحفار) ويوجد في انفاق تحت سطح التربة ويتغذى على درنات البطاطس وقت الزراعة وبعد تكوينها، ويتغذى كذلك على ثمار العائلة القرعية الملامسة لسطح الأرض وعلى جذور وسيقان النباتات تحت سطح الأرض ويلتهم بذور الطماطم والبطيخ والسمسم عند زراعتها. ويكافح العنجوش بوضع أي مبيد فعال مثل فوسفيد الزنك مع البذور أو تقاوى البطاطس عند الزراعة. وبعد الزراعة يصنع له طعم سام مكون من مبيد نخالة + ماء، وينثر هذا الطعم عند الغروب بين صفوف النباتات.

• **آفات الانسان وممتلكاته**: وأهمها الفئران والجرذان، وتكافح باستخدام مادة الكليرات النخالة والماء نثرا في الحقول، كما تستخدم مادة الوارفارين مع الدقيق والسكر والزيت. أما عن حشرة النمل الأبيض (القرضة) التي تهاجم الأخشاب والكتب والأبواب والشبابيك بالمنازل، وتهاجم كذلك النخيل والأشجار الخشبية القائمة والمزروعات الحقلية الأخرى، كما تتغذي على الأخشاب المدفونة تحت سطح التربة، وكثيرا ما تتسبب تلك الحشرة في هدم الكثير من المنازل وتكافح كما يلي:

— بناء قواعد المنازل والمباني من الأسمنت المسلح.

— معاملة الأخشاب التي تستخدم في المنازل والسكك الحديدية وأعمدة الكهرباء والتليفون والتلغراف بمادة الكريوزوت (منتجات تقطير الفحم الحجري).

— رش جدران المبنى المصاب بمادة الدورسبان

— اعداد حفرة حول المنزل بعمق نصف متر ووضع مسحوق الكلوردان بها.

— حقن الأبواب والشبابيك المصابة بمبيد زيتي فعّال □



الصيدلة

بقلم: د. نقولا زيادة / بيروت

شغلت الصيدلة، وما يتعلق بها من التحدث عن الأصول المستخرجة منها العقاقير وتركيبها وخواصها، الكثيرين من علماء العرب. والأسماء اللامعة في هذا العلم كثيرة. الا أننا سنقتصر هنا على نفر قليل، آملين ان نوضح آراءهم وأساليبهم ومن ثم فضلهم على هذا العلم من حيث أنه مرتبط بحياة الانسان.

وأول الذين أريد أن أتحدث عنهم، ولو لم يكن أول المشتغلين بهذا العلم، هو أبو الريحان البيروني (٣٦٢ـــ٤٣٩هـ/٩٧٣ـــ١٠٤٨ م). وقد ولد البيروني في بيرون، وهي ضاحية من ضواحي خوارزم (خيوا الحالية)، في أواسط آسيا، وهذه المنطقة أنجبت عالم الفكر الخوارزمي وابن سينا والبيروني. وكان مولده سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م، وفي خوارزم بدأ حياته الدراسية. ثم رحل الى الري في خراسان حيث قضى بعض الوقت لكنه عاد الى خوارزم وظل فيها الى سنة ٤٠٧/١٠١٦م، وفي هذه الفترة اتصل بعدد من كبار العلماء وأهل الفكر وكان منهم ابن سينا. ولما احتل السلطان محمود الغزنوي (٣٨٨ـــ٤٢١هـ/٩٩٨ـــ١٠٣٠م) خوارزم (٤٠٧هـ/١٠١٦م) هرب ابن سينا الى بلاط البويهيين، أما البيروني فقد حمله السلطان محمود معه الى غزنة، عاصمة سلطانه، حيث ظل الى سنة وفاته (٤٣٩هـ/١٠٤٨م). وقد رافق البيروني السلطان في حملاته على حوض السند.

يعتبر البيروني قمة من قمم العلم والفكر في الحضارة العربية الاسلامية. وقد كان يعرف من اللغات، بالاضافة الى العربية، التي وضع فيها جميع مؤلفاته، الفارسية والتركية (الشرقية) والسنسكريتية والعبرية واليونانية. وللبيروني عشرات الكتب في مواضيع العلم المختلفة، وأهمها: «الآثار الباقية عن القرون الخالية» و«القانون المسعودي» الذي وضعه الغزنوي في زمن السلطان مسعود ٤٢١ ـــ ٤٣٢هـ/ ١٠٣١ ـــ ١٠٤١م)، وهذه وغيرها من المؤلفات جعلته في مقدمة الرياضيين والفلكيين العالميين. وله «كتاب الهند» وهي أول محاولة عربية اسلامية جادة لفهم الهنود وفلسفتهم وأديانهم. والكتاب الذي يعنينا الآن هو «كتاب الصيدنة» ـــ هكذا سماه صاحبه. ويقول في ذلك: «الصيدنة اعرف من الصيدلة، والصيدلاني أعرف من الصيدناني».

ويعرف البيروني الصيدنة بقوله: «الصيدنة هي معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وأنواعها وصورها المختارة لها، وخلط المركبات من الأدوية بكنه نسخها المدونة، أو بحسب ما يريد المريد المؤتمن المصلح.» ويضيف «الصيدلاني وهو المحترف بجميع الادوية على أحمد صورها، واختيار الأجود من أنواعها، مفردة ومركبة على أفضل التراكيب التي خلدها له مبرزو أهل الطب. وهذه أي «الصيدنة» أولى مراتب صناعة الطب». على أن البيروني يستدرك فيقول «.. وربما لم تعد «أي الصيدنة» في جملة مراقيه «أي الطب» فانفردت بنفسها... كانفراد المنطق عن الفلسفة». وهذه ملحوظة مهمة جدا. فقد كان ثمة اتجاه، أخذ يتقوى تدريجا حتى بلغ غايته بعد قرنين من

أيام البيروني، بأن تكون الصيدلة، علما وصناعة، أمرا منفصلا عن الطب، وان لم يكن هذا لازما.

ولعله من المفيد أن نذكر هنا أن جميع الذين كتبوا في الصيدلة عند العرب كانوا يفرّقون بين العقاقير المفردة والعقاقير «أو الأدوية» المركبة. فالأولى هي التي يستعمل فيها العقار على طبيعته. فالأثمد مثلا، وهو حجر الكحل، يستعمل مفردا أي على طبيعته كحلا للعين، أو علاجا لبعض الالتهابات البسيطة. لكن الالتهابات الأصعب يستعمل لها الأثمد مضافا الى عقاقير أخرى مفردة، وعندها يصبح الدواء مركبا. وقد كان المألوف عند الأطباء، وهم الذين يصفون العلاج، أن يلجأوا الى العقاقير المفردة للعلاج، ولم يستعملوا الأدوية المركبة الا حين يصبح الأمر ضرورة ملحة.

وكتاب «الصيدنة» للبيروني هو في مادته الأصلية معجم للعقاقير المفردة — النباتي منها والمعدني على السواء. والبيروني، مثل غيره من المشتغلين بهذا العلم أو بهذه الصناعة، كان يعرف ما جاء به اليونان، وامام المشتغلين بها عندهم ديسقوريدس (من أهل القرن الأول ق.م.). وقد نقل هذا الكتاب، مع رسومه، في وقت مبكر الى اللغة العربية، وأصبح نقطة الانطلاق عند المشتغلين بالصيدلة عند العرب. وكان كل واحد يضيف ما يقع عليه، بحيث أصبحت مكتبة الصيدلة عند العرب كبيرة وهامة، وصارت سبيل العالم — شرقه وغربه — الى التعرف الى العقاقير المختلفة. وهذا البيروني يقول في ذلك: «كنت قد طالعت للرازي كتابيه في الصيدلة والابدال، فلم أفز منهما بالكفاية. فأضفت بعض ما عندي الى ما فيهما تذكرة لنفسي... ثم لمن جانسني بحب الفضيلة واقتفائها.»

ولكن هل اقتصر عمل البيروني، في كتاب الصيدنة، على مجرد وضع معجم للعقاقير المفردة؟ لا. فنحن عندما نتصفح هذا المعجم نجد فيه أمورا يختلف بها عن غيره من كتب العقاقير. فمنها أن البيروني يفسر الكلمات تفسيرا واضحا. ففي كلمة أثل نقع على قوله: «شجرة تشبه الطرفاء... وليس بين الاثل والطرفاء فرق سوى في العظم حتى ينحت منه أقداح وأوان، لفضل الجودة في عوده». ومنها أنه يذكر اسم العقار بأي من اللغات التي يعرفها، وقد يورد من التسميات ستا. «الأثمد هو حجر الكحل. وبالفارسية سُرْمَة وبالهندية أَنْجَنْ». واذا كان للعقار تسميات اخرى بالسريانية أو اليونانية أو السنسكريتية ذكرها. «فالآس هو بالرومية (أي اليونانية) مِرْسيني وبالسريانية آسا وبالفارسية والسندية مورد». ومنها، بطبيعة الحال، ان المؤلف يذكر خصائص هذه العقارات — على اختلاف أصلها — واستعمالها بشكلها المفرد. لكنه يتناول تركيب الأدوية بشكل عام. انما الأمر الذي يعنى به البيروني في تركيب الأدوية هو القاعدة. فالرجل كان عالما، وهو ينظر الى القضية من وجهة نظر العالم الذي يعرف ما يمكن وما يستحيل.

والقاعدة التي يؤكد عليها هي ان الصيدلاني بحاجة، في هذا الفن، «لأمرين — احدهما الحذف والآخر التبديل. أما الحذف فواجب على الصيدلاني وعلى الطبيب، اذا رام تركيب دواء مشهور بالنجح في علة حاضرة يضطر فيها اليه، ثم أعوزه عقار واحد ان لا ينكل ولا يمنعه ذلك عن اتمام المخلوط أو المعجون بسبب ذلك الواحد الفائت كيلا يفيت العليل ما يرجى من المنفعة». وأما التبديل فهو من أنفع الأمور، على ما يرى البيروني. والمقصود بالتبديل هو أن يستعمل الصيدلاني عقارا موجودا، بدل عقار مفقود، لتركيب الدواء، ولو أن الموجود هو دون المفقود نفعا. فخير للمريض ان يحصل على الدواء المركب على هذا الشكل، من أن يمتنع الطبيب عن وصف العقار الممكن العثور عليه. والبيروني ينتقد هنا الممارسات السابقة عند البعض والتي كانت تسمح بالتبديل مهما كان نوعه. ولو لاخشية الاطالة لنقلت للقراء هذا بكامله. ولكن خلاصته هي مطالبة الطبيب والصيدلاني اتباع من سبق في التبديل بأي عقّار كان من جهة، وبالتبديل دون النظر الى الغاية التي يستعمل فيها العقار — أهي السقي أم الطلي أم الغسل أو التضميد. فكل حالة لها درجة من التبديل تجوز فيها ولا تصلح لغيرها.

ويقول البيروني: «وجميع ما يتناول بقصد أو بجهل فمنقسم في أول الأمر الى أطعمة وسموم تتوسطها الأدوية. فالأغذية متكيفة من القوى الفاعلة والمنفعلة... وأما السموم فانها تكيّفت من تلك القوى بأقصى درجاتها فعرمت واستولت على البدن وأحالته احالة ممرضة أو مميتة... والأدوية واقعة في البين. لأنها بالاضافة الى الأغذية مفسدة والى السموم مصلحة... والميل في استعمال العقاقير الى بسائطها المفردة ثم من المركبة الى ما هو أقل اخلاطا».

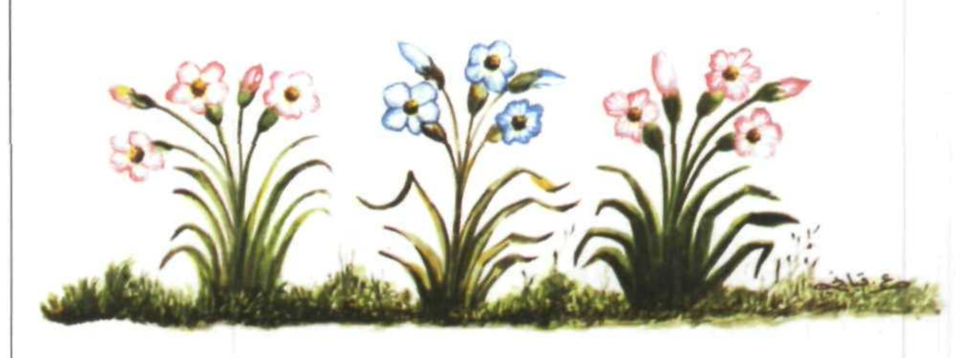
هذه القضايا التي أثارها البيروني هي التي تمنحه هذه المرتبة العلمية في معالجته لقضية عملية، وعندها تنتقل الصيدلة الى منزلة العلوم التجريبية.

وكما وجدنا ان الزهراوي الطبيب الأندلسي رسم آلات الجراحة في كتابه «التصريف» فاننا نجد الآن اتجاه عدد من العاملين في حقل الصيدلة نحو رسم النباتات التي يتحدثون عنها في كتبهم. ومن هؤلاء رشيد الدين الصوري (٥٧٣ — ٦٣٩هـ/ ١١٧٧ — ١٢٤١م)، المولود بمدينة صور في لبنان، وقد نشأ بها ثم انتقل عنها واشتغل بصناعة الطب... وتميز فيها. وأقام في القدس سنتين وكان يطب في بيمارستانها. وكان ممن خدمه بصناعة الطب الملك العادل الأيوبي أيام كان في بلاد الشام وقد استصحبه معه الى مصر وبقي في خدمته الى أن توفي الملك العادل. لكنه فضل العودة الى دمشق وبقي فيها الى حين وفاته (٦٣٩هـ/ ١٢٤١م).

يحدثنا ابن أبي أصيبعة عن رشيد الدين



صورة للبيروني كما تخيلها الفنان



الصوري، فيما يحدثنا، فيقول: «وله من الكتب «كتاب الأدوية المفردة»، الذي بدأ بتأليفه في أيام الملك المعظم الأيوبي الذي حكم دمشق ٦١٥هـ — ٦٢٤هـ/ ١٢١٨ — ١٢٢٧م) وجعله باسمه. واستقصى فيه ذكر الأدوية المفردة، وذكر أيضا أدوية اطلع على معرفتها ومنافعها لم يذكرها المتقدمون. وكان يستصحب معه مصورا ومعه الأصباغ والليق (الأصماغ المحلولة) على اختلافها وتنوعها. فكان يتوجه رشيد الدين الى المواضع التي بها النبات، مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي اختص كل منها بشيء من النبات فيشاهده ويحققه، ويريه للصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه وأصوله، ويصورها بحسبها ويجتهد في محاكاتها. ثم انه سلك أيضا في تصوير النبات مسلكا مفيدا. وذلك انه كان يُري النبات للمصور في ابان نباته وطراوته فيصوره. ثم يريه اياه أيضا وقت كماله وظهور بذوره، فيصوره كذلك. ثم يريه اياه أيضا في وقت ذواه ويبسه، فيصوره. فيكون الدواء الواحد يشاهده الناظر اليه في الكتاب، وهو على أنحاء ما يمكن أن يراه في الأرض. فيكون تحقيقه له أتم ومعرفته له أبين».

والذي نذهب اليه هو انه بالاضافة الى الدقة العلمية بالذات التي تتجلى في هذا العمل، فان رؤية النبات في أشكال مختلفة، خاصة وهو يحمله بذوره، لعلها تضيف الى امكان الافادة من النبات في علاج حالات خاصة من الأمراض أيضا.

يقول الدكتور اسامة عانوتي عن رشيد الدين الصوري: «عالم نباتي بدع بين علماء النبات العرب أجمعين. ذلك أنه تنبه الى ناحية لم ينتبه اليها سواه. فقد كان يرفق حديثه وشروحه لأنواع النبات بالرسوم المتعلقة بذلك... فكان كتابه «كتاب الأدوية المفردة» الذي ضاع، أول كتاب مزود بالايضاحات التصويرية عند العرب».

وكان لرشيد الدين أثر في الذين جاءوا بعده. أخذوا عنه واتبعوا اسلوبه في رسم النبات.

وفي العصر الذي كان البيروني يكتب في الصيدلة في أقصى ديار الاسلام في المشرق، وكان رشيد الدين الصوري يجمع مفرداته في ربوع لبنان ويكتب في القدس ويؤلف في دمشق، كان الغافقي وابن البيطار يغنيان مكتبة الصيدلة في المغرب الاسلامي — في الاندلس. والغافقي من أهل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وقد ولد في قرية على مقربة من قرطبة، وعاش في الأندلس، ويقول عنه مترجموه انه كان عالما بارزا وكانت له الزعامة في الأندلس. وكتاب الغافقي فقد، ولم يصل الينا. الا ان أبا الفرج (من أهل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) لما كان طالبا للطب، وقبل أن يتحول الى اللاهوت والكهنوت، عمل خلاصة وافية للكتاب. وهذه الخلاصة المنظمة المرتبة تدل على القيمة العلمية التي كانت للأصل.

على أن العالم العربي الممتاز في النبات هو ابن البيطار. ولد ابن البيطار في مالقة بالأندلس (٥٩٤هـ/ ١١٩٧م) وتوفي بدمشق (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م). وقد تلقى علومه الأولية في مالقة، وأقام في أشبيلية بعض الوقت. وقد قرأ كتب الأولين في النبات، ولكنه كان دقيق الملاحظة طُلَعَة كثير الأسفار. وقد غادر ابن البيطار الأندلس (حوالي سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م) فمر بالمغرب وزار آسيا الصغرى وأرض الرافدين وبلاد الشام وبعض أجزاء الجزيرة العربية ومصر. واستقر أخيرا في دمشق وبها توفي.

وفي زياراته لدمشق وضواحيها وبعض أنحاء لبنان كان يرافقه في رحلاته ابن أبي أصيبعة (صاحب عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الذي ترجم لما يزيد عن أربعمئة رجل عملوا في حقل الطب والطبابة من أطباء اليونان القدامى الى معاصريه. وقد توفي ابن أبي أصيبعة سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م في صرخد من أعمال حوران). وابن البيطار كان استاذا لابن أبي أصيبعة. ومع أن ابن البيطار عرف عمل رشيد الدين الصوري، وأخذ عنه، فانه لم يشر اليه قط.

واذا صحت شهادة ابن أبي أصيبعة، التلميذ، باستاذه ابن البيطار، فهذا كان في طليعة النباتيين معرفة وعلما. وقد أصبح المهم، بالنسبة الى معرفة النباتات هو صلاحيتها لشفاء الأمراض والعلل، مفردة ومركبة. وكتاب «جامع مفردات ابن البيطار» هو أكمل وأوسع ما صنفه العرب في هذا الموضوع. فقد وصف فيه نحو ألف وأربعمئة عقّار. والمعروف ان الفا من هذه كانت معروفة من قبل، وان مئة أخرى نقلها عن معاصريه. فيظل الفضل لابن البيطار في التعريف بثلاثمئة عقّار (وغذاء) لم تكن معروفة من قبل. وقد أخرج الدكتور أسامة عانوتي ان ابن البيطار في كتابه «المغني عن الأدوية المفردة» يتناول الأعشاب والخضار الواردة أسماؤها في كتاب المفردات، لكنه لا يرتبها حسب النظام الهجائي، وانما تناول في «المغني» علاج الأعضاء عضوا عضوا بطريقة مختصرة كي ينتفع به الأطباء.

ولا شك في انه مما يسّر لابن البيطار هذه المعرفة الواسعة أسفاره، فكانت لديه مصادر نباتية متعددة للدرس في بيئات طبيعية متنوعة. وقد نقل أسماء بعض النباتات من شمال افريقية عن البربرية وأدخلها القاموس العربي.

وهؤلاء بعض أعلام العقاقير المفردة — البيروني، الصوري، الغافقي، وابن البيطار. كل أضاف لبنة — ولبنة كبيرة — في بناء الصرح العلمي العالمي □

المجال الإداري

بقلم: د. محمد بن عبدالله البرعي / جامعة البترول والمعادن

مما لا شك في أن مسيرة أية أمة من الأمم في مجالات التقدم الحضاري والتنمية، بكافة جوانبها الاقتصادية، والسياسية، والادارية والتعليمية، لا يمكن أن تنفصل عن تراثها العريق، فلقد قيل ان أية أمة ليس لها ماض لايمكن أن يكون لها مستقبل زاهر، فالمستقبل هو رهن الحاضر، والحاضر امتداد للماضي. ونظرة عميقة ومتفحصة الى تاريخ أمتنا الاسلامية المجيد ترينا أنه تاريخ ملىء بالعطاء الحضاري والعلمي والثقافي في شتى الميادين، وتبين لنا أن العقل العربي والاسلامي كان خلال فترة الازدهار والتقدم الحضاري مبدعا ومبتكرا بحيث أثر في الحضارات الأخرى المعاصرة له.

لقد ظهر مؤخرا أن التمسك بالقيم والرجوع الى الجذور التاريخية هو أهم ما يمكن أن يحافظ عليه الانسان. وما نجاح كتاب وشريط «الجذور» للكاتب الأمريكي الزنجي «الكس هيلي» الا أكبر دليل على ذلك. فبينما الآخرون، وخاصة في أمريكا الشمالية يقضون عشرات السنين في البحث والتمحيص عن جذورهم التاريخية، نرى البعض منا يتغاضى عنها بل ويهملها، ان لم أقل انه يستاء لمجرد الانتماء اليها، وذلك جريا وراء بريق الحضارة المعاصرة المغلفة بغطاء جميل جذاب خادع.

ولكن كما قيل قديما: «الانسان عدو ما يجهل»، فمعظم هذه المواقف السلبية التي يقف البعض منا، لاسيما المثقفون، تجاه تاريخ وتراث أمته ناتج عن الجهل بالماضي، والافتتان بالحاضر، حيث مرت بالأمة العربية والاسلامية فترة زمنية أثرت في سلوك أبنائها وتفكيرهم فجعلت منها عقولا راكدة فكريا وحضاريا. الا أن هذا لايعني أن نهمل عطاء أجيالنا السابقة ولا نشعر بالأسف والندم والخجل من تخلفنا بل على العكس فان شعورنا بالعزة والقدرة على الاقتحام والريادة في مختلف مجالات المعارف الحضارية يجعلنا نبذل جهدا كبيرا مصحوبا بالعطاء لكي نعيد الدور القيادي الذي عاشته أمتنا في عصرها الذهبي، ولكي نسجل صفحات جديدة من التطور الحضاري في سجلات تاريخنا الحديث، ولكي نكون كما أراد الله لنا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

وحول وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى: «**لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون**»..

ولتحقيق الايمان بالله يجب معرفة القرآن والسنة معرفة دقيقة، فبدونهما لن يصلح أمر المسلمين. والتراث العربي الاسلامي ما هو، في الحقيقة، الا ينبوع من ينابيع القرآن والسنة، واحياؤه واجب اسلامي .. ولذا فان اهمال هذا التراث انما هو ذنب في حق هذا الدين سواء أشعرنا بهذا الذنب أو لم نشعر. فواجب الباحثين وبخاصة علماء الأمة ومربيها أن يلتفتوا، بكل جدية، الى هذا التراث الفكري ويسعوا في تحقيقه وتنقيحه حتى يصبح معينا ثرا لا ينضب.

وهنا لابد لنا من التنويه عن أن بعض الباحثين والعلماء المسلمين، قد بدأوا السير فعلا في هذا الاتجاه وذلك بابراز بعض الدراسات في التراث الاسلامي في ميادين عديدة ومنها الادارة التي نحن بصددها في هذا المقال. ففي عدد مجلة «المسلم المعاصر» الذي صدر في ربيع الثاني عام ١٣٩٥ هـ، قدم الدكتور فتحي عثمان بحثا عن «تراث الفكر الاسلامي في النظم السياسية والادارية: قطعة من التاريخ» ناقش فيه الاتجاه المحمود الذي انتهجته بعض الجامعات المصرية في تقديم درجات الدكتوراه لبحوث في الشريعة الاسلامية متخذة المنهج المقارن بالفكر القانوني الغربي الحديث في مجالات متعددة للقانون العام والخاص وغيره.

ولقد برزت في الآونة الأخيرة عدة بحوث قيمة حول نظم الادارة والسياسة الاسلامية منها: «النظم الاسلامية» للدكتورين حسن ابراهيم وعلى ابراهيم، كما برز بحثان حول العنوان نفسه للدكتور عبد العزيز الدوري، والدكتور صبحي الصالح. والى جانب هذه البحوث صدرت كتب ومؤلفات عن نظام الحكم في الاسلام منها كتاب الأستاذ الدكتور عبد الحميد متولي وغيره، كما صدرت مؤلفات للأستاذ الدكتور سليمان محمد الطماوي منها «السلطات الثلاث» نهج فيه دراسة تراث الفكر الاسلامي الى جانب الفكر الغربي في هذا المجال، وله أيضا كتاب ضخم يقع في حوالي

٥٠٠ صفحة عن «عمر بن الخطاب وأصول السياسة والادارة الحديثة: دراسة مقارنة»، وقد ظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٦٩م عن دار الفكر العربي.

وبالاضافة الى الكتب والمؤلفات العديدة التي تناولت مجال التراث الاداري للمسلمين هناك كثير من المقالات التي تناولت بعض البحوث في هذا المجال نفسه، فقد كتب الأستاذ عبد الفتاح رؤوف الجلالي بحثا عن «منطق الادارة في ثقافة الاسلام» بيّن فيه منطق شيخ الاسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام المعروف بتقي الدين ابن تيمية المتوفى عام ٧٢٨هـ في دمشق وذلك في كتابه «السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية»، وقد خلص المؤلف الى أن عبقرية ابن تيمية ومنطقه في الادارة العلمية أهلاه لأن يصبح بحق عالما في مجال الادارة العلمية قائلا بالحرف الواحد: «هذا هو منطق ابن تيمية في الادارة العلمية فاق به من عداه من أئمة المسلمين، وعلا منطقه في رأينا على غيره ممن تحدث منهم في أمور الادارة، أمثال الماوردي والغزالي وغيرهما، فحق له في رأينا أبوة الادارة العلمية في ثقافة الاسلام، ولا يخالجنا شك أنه اذا ترجمت آراؤه الى اللغات الغربية، لعقدت له أبوة الادارة عالميا، ولسطع اسم الادارة الاسلامية وأصولها في الدراسات المقارنة للادارة».

وقد ناقش الأستاذ عبد الفتاح الجلالي رأيه هذا عن ابن تيمية ووضحه في مقال بعنوان «لماذا عقدنا أبوة الادارة العلمية عالميا لابن تيمية؟». وسواء عقدت هذه الأبوة لشيخ الاسلام ابن تيمية أو لم تعقد، فيكفيه فخرا أنه العالم المسلم الذي أسهم في اثراء المكتبة الاسلامية بمجلدات ومؤلفات مفيدة في كافة المجالات. وما فتاوى ابن تيمية التي تقع في حوالي ٢٧ مجلدا الا مثال على ذلك. ولعل المهم هنا هو عدم غمط الناس حقهم واعطاء كل ذي حق حقه وهو واجب اسلامي ممثل بقول الله تعالى على لسان شعيب **«ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين»**. وما من شك في أن علماء الادارة في الشرق والغرب سيقفون مدهوشين أمام الأفكار الادارية النيرة والمنطق الاداري المستقيم الذي قدمه شيخ الاسلام في مؤلفاته عند ترجمتها الى لغاتهم مع العلم بأنها صدرت قبل حوالي ٦٠٠ سنة.

والى جانب ابن تيمية، هناك أيضا رواد كثيرون أسهموا في الفكر الاداري الاسلامي من بينهم:

* أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم الانصاري الكوفي (١١٣ هـ — ١٨٢ هـ)، وهو أول من أطلق عليه لقب قاضي القضاة. ومن مؤلفاته «كتاب الخراج» الذي كتبه بطلب من الخليفة هارون الرشيد.

* الماوردي، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب (٣٦٤ هـ — ٤٥٠ هـ) مؤلف كتاب «الأحكام السلطانية»، وقد ترجم الى عدة لغات، كما أعدت كاتبة أمريكية رسالة دكتوراة عنه عام ١٩٧٨م.

* الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (٤٥٠ هـ — ٥٠٥ هـ) مؤلف كتاب «احياء علوم الدين» الذي اشتمل على موضوعات عديدة في السياسة والادارة. ولكن كتابه «نصيحة الملوك» يعتبر من أهم ماكتبه في المجال الاداري، وقد ترجمه «بقلي» الى اللغة الانجليزية في عام ١٩٦٤م.

* ابن خلدون، عبد الرحمن أبو زيد بن محمد بن محمد (٧٣٣ هـ — ٨٠٩ هـ). مؤلف المقدمة المشهورة، ومقدم النظريات العديدة في علوم الاجتماع والسكان، وهو العربي المسلم الوحيد الذي ذكره الكاتب الاداري المشهور «ارنست ديل» في كتابه عن المنظمين العظماء في التاريخ حيث قال: «انه أول من عالج الطريقة المقارنة في البحث العلمي عند دراسة المنظمات والمنشآت».

وقد تناولتُ كلاً من هؤلاء العلماء واسهاماته في مجال الادارة في اطروحة الدكتوراة التي قدمتها عن «التنمية الادارية من وجهة نظر اسلامية».

وماذا بعد؟ ما المطلوب من علماء العالم الاسلامي ومثقفيه في الوقت الراهن؟ وماذا يمكن عمله لاحياء هذا التراث المجيد في مجال الادارة والاقتصاد وكافة المجالات الأخرى؟ وكيف يتم ذلك؟ وما العقبات، ان وجدت، التي يمكن أن تعوق مثل هذا العمل المفيد؟..

كل هذه التساؤلات وغيرها تحتاج الى وقفة تأمل حتى ندرك أننا فعلا نسير في الاتجاه الصحيح. لقد حان الوقت للتشمير عن ساعد الجد ونفض غبار التقاعس والبدء في البحث والتمحيص في هذا التراث المجيد، كل في مجال اختصاصه، ثم محاولة فهمه ونشره مع المحاولة الجادة في استخراج العبر منه وربطه بحاضر الأمة ومستقبلها.

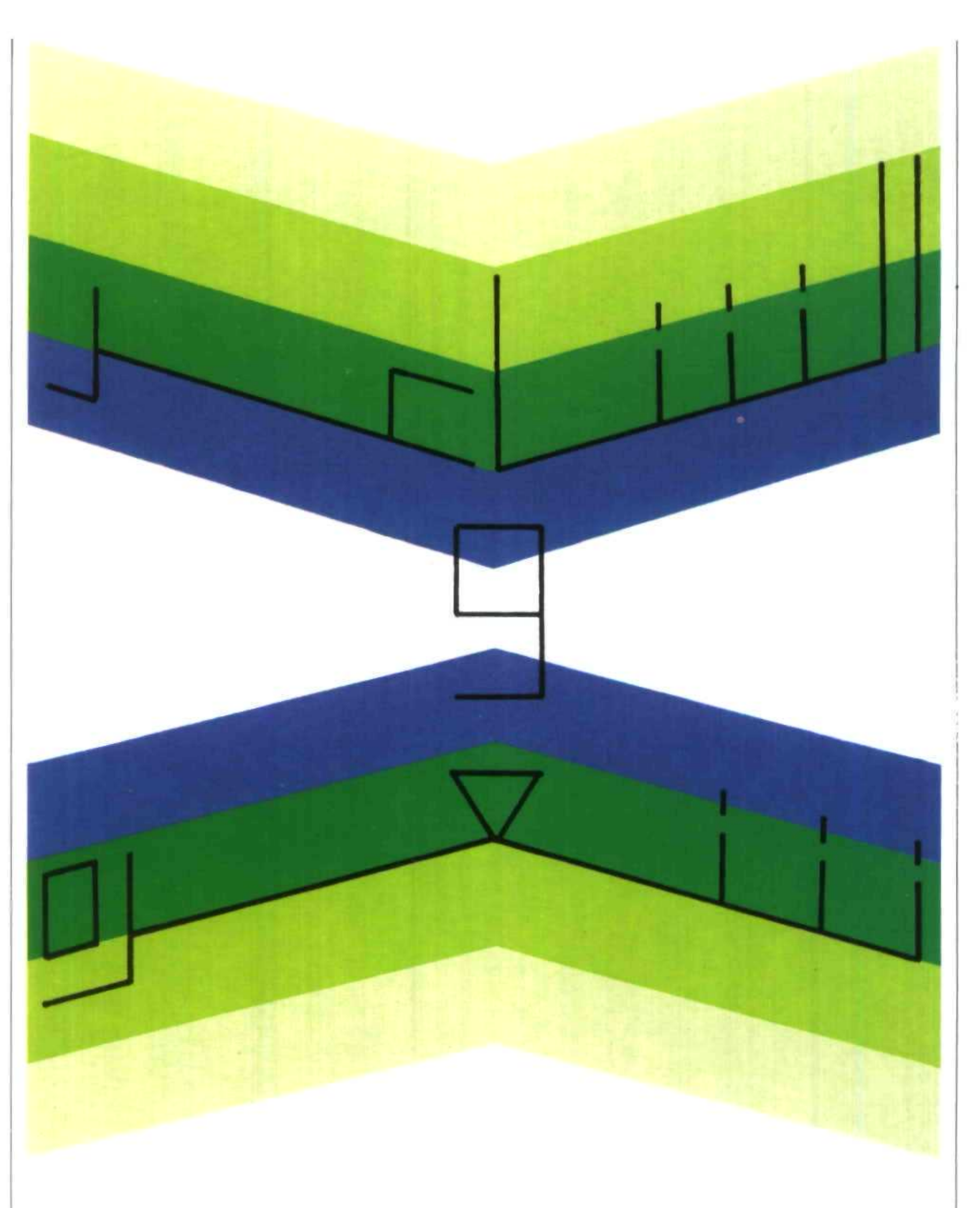
ان ايماننا العميق الراسخ بأن هذا الدين الاسلامي هو أسلوب حياة وأنه صالح لكل زمان ومكان، انما يتطلب منا العمل الجاد على ابراز كافة الزوايا والأوجه المختلفة للتراث الاسلامي. فالمطلوب من علماء المسلمين ومثقفيهم التفاتة جادة، وعمل دؤوب لابراز هذا التراث. وبشيء من التنسيق بين الجامعات والصروح العلمية الأخرى في العالم العربي والاسلامي يمكننا تحقيق الخطوة الأولى. وأنا هنا أدعو الى فكرة تكوين فريق عمل ممن لهم اهتمام أصيل بالتراث العربي الاسلامي.

ان ابراز التراث العربي الاسلامي وتنقيحه واجب كما أسلفنا. واذا ماأهملنا هذا التراث الأصيل ومكثنا في مهب الريح، فاننا سنظل بمنأى عن احترام الأمم الأخرى وتقديرها. فقد قيل ان السفينة التي لا تعرف اتجاهها الصحيح لا يهمها من أي اتجاه تضربها الريح.

ولعل من المهم في هذه العجالة ذكر بعض المراكز التراثية التي نشأت وأسهمت في اثراء المكتبة العربية، وعلى سبيل المثال لا الحصر، هناك مركز للبحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة وآخر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية في الرياض.

كما يوجد عدة مراكز في المملكة وخارجها لها نشاطاتها واسهاماتها في هذا المجال الخيّر.

وبعد .. فاننا نرجو أن تجد هذه الصيحة آذانا صاغية من لدن رجال الفكر الغيورين على هذا التراث الاسلامي المجيد، حتى نعيد الى هذه الأمة ماكانت عليه من الرفعة والتقدم والرقي **«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»** □



بقلم: الأستاذ وديع فلسطين / القاهرة

من القضايا الأدبية التي أثيرت أخيرا في مناسبة انقضاء خمسين عاما على وفاة الشاعر الكبير احمد شوقي — المكنى بأمير الشعراء — قضية التراث الشعري للشاعر، وهل من حق المحققين أو الدارسين أو المجتهدين أن يتصرفوا فيه بعد وفاته. والى أي مدى يحق لهؤلاء الباحثين أن ينتقوا من شعر الشاعر ما يروقهم أو أن يطرحوا منه ما لا يعجبهم، أو أن يقدموا أو يؤخروا في ترتيب قصائده وفقا لأهوائهم.

فعندما مات الشاعر احمد شوقي في عام ١٩٣٢، لم يكن قد أصدر من شعره الا جزئين اثنين من «الشوقيات»، الجزء الأول وقد طبع في حياة الشاعر مرتين وأدخل الشاعر عليه تنقيحات في طبعته الثانية تناولت حتى المقدمة التي أسقطها، والجزء الثاني. كما أصدر بعضا من مسرحياته الشعرية. وبعد وفاة شوقي طبع جزءان آخران من «الشوقيات» أشرف على أحدهما الشاعر الراحل محمود أبو الوفا، وأشرف على الثاني الأديب الراحل محمد سعيد العريان، الذي أشرف كذلك على طبع معظم مسرحيات شوقي كاتبا مقدمة لكل منها.

وفي عامي ١٩٦١ و ١٩٦٢ فاجأ الدكتور محمد صبري قراء الضاد بمجلدين ضخمين أسماهما «الشوقيات المجهولة» جمع فيهما عشرات من قصائد شوقي التي نشرت في الصحف بامضائه الصريحة أو بغير امضائه، مما لم يرد في الأجزاء الأربعة المنشورة من «الشوقيات» وكان هذا الصنيع عملا علميا ضخما اهتمت به المحافل الأدبية أكبر اهتمام، لأنه كاد يضاعف تراث شوقي المعروف.

ومن سنوات، أخرج الدكتور رؤوف عبيد مسرحية عنوانها «عروس فرعون»، وقال في تقديمه لها ان هذه المسرحية أملتها روح شوقي على وسيطة أمّية أو شبه أمّية. وشهد لها عدد كبير من الشعراء والنقاد بأن فيها خصائص شوقي وملامحه.

وفي العام الماضي قام الدكتور احمد الحوفي باعادة ترتيب «الشوقيات» وتنسيقها وأعطى لنفسه الحق في أن يغير في عنوانات القصائد، وفي أن يضبط بعض الأوزان، وفي أن يغيّر من بعض الألفاظ، وأضاف الى هذا كله فهارس موسعة وهوامش مفصلة. وسمى

«الشوقيات» «ديوان شوقي» الذي وقع في جزئين. وفي مشروعات استاذنا الحوفي — شفاه الله من شدته المرضية — ان يخرج مسرحيات شوقي بعد اخضاعها لمثل هذا التحقيق العلمي.

والقضية التي أثيرت هي: هل يعتد بالديوانين اللذين صدرا بعد وفاة شوقي باسم «الشوقيات» وقوامها الجزءان الثالث والرابع، أو يعتبر هذا الشعر من السواقط التي تعمّد الشاعر اهمالها في حياته لعدم رضاه عنها، وأن نسبتها اليه تسيء الى شاعريته! وما القول في «الشوقيات المجهولة»، وكلها ساقط من الأجزاء الأربعة من «الشوقيات»، فهل يُعتَد بها في الدراسة الأدبية، أو يُشَكَّك فيها من حيث قيمتها الفنية ومن حيث صحة نسبها الى الشاعر؟ وماذا عن مسرحية «عروس فرعون» التي أمليت من عالم الأرواح منسوبة الى شوقي، على ما قال ناشرها؟ وما الحكم في التحقيق الذي اضطلع به الدكتور الحوفي؟ وهل كان من حقه أن يتصرف في ديوان الشاعر، مبدّلا حتى اسمه الذي عرف به؟

لابد، باديء ذي بدء، من أن نقرر بأن الشعراء — شأنهم شأن الأدباء جميعا — قل ان يتهيأ لهم في حياتهم نشر دواوينهم. فخليل مطران مثلا، لم ينشر في حياته من ديوانه ذي الأجزاء الأربعة الا جزءان، ومات قبل طبع الجزئين الأخرين: والشاعر ابراهيم ناجي لم يطبع في حياته الا ديوانه «وراء الغمام» وملحمة «ليالي القاهرة»، ومات قبل أن يتسنى له جمع شعره. وعادل الغضبان مات دون أن ينشر شيء من شعره. وأبو شادي، ما زال شعره المهجري بدواوينه الأربعة بغير نشر مع أنه توفي في عام ١٩٥٥. ومعنى ذلك أن الأجل كثيرا ما يدرك الشاعر قبل أن يستكمل رسالته الشعرية بنشر دواوينه، فهل يترك شعره نهبا للضياع بدعوى أن الشاعر أهمله أو لم يُجز نشره في ديوان، أو أن الأمانة الأدبية تحث الغياري حثا على جمعه واخراجه وصونه من التبديد ما دام الشاعر قد ناءت به الوسائل وأعجزته عن نشر شعره؟ في رأينا الذي يتفق مع المناهج العلمية أن كل مايثبت نسبه الى الشاعر من شعر، ينبغي انقاذه من الضياع ونشره نشرا أمينا، بغض النظر عن قيمة هذا الشعر في نظر جامعه، ودون التفات الى احتمال عدول الشاعر عن بعض قصائده أو حتى بعض دواوينه. واذا كان الشاعر الراحل محمود حسن اسماعيل قد تناسى ديوانه الموسوم «الملك» — وعندي نسخة منه عليها اهداء الشاعر نفسه — فمن حق التاريخ الأدبي أن يظل لهذا الديوان مكانة مادام قد صدر في حياة الشاعر وبرغبته الحرة وتحت اسمه الصريح.

فعلى المجتمع الأدبي مسؤولية كبرى، هي الحفاظ على الآثار الأدبية والشعرية التي عز على أصحابها نشرها في كتب، والا كنا مبددين لتراث ضخم لأن الموت عاجل أصحابه قبل أن يسجلوه بين دفتين. أما حجة القائلين ان ماأهمله صاحبه في حياته ينبغي أن يهمل بعد موته، فهي حجة ان أخذ بها، لما نشرت دواوين ابراهيم طوقان وابي القاسم الشابي ومحمد عبد المعطي الهمشري وعلى احمد باكثير وصالح شرنوبي، وغيرهم من الذين ماتوا قبل أن يجتمع شعرهم في ديوان.

وثمة حجة ثانية تساق، وهي أن «الشوقيات المجهولة» قد أساءت الى شوقي، لأنها جمعت من قصائده المجهولة ما يعتبر شعرا تجريبيا نظمه الشاعر قبل أن تقوى عارضته الشعرية وتخصب قريحته المعطاء. ولو كان شوقي راغبا في هذا الشعر، لما أسقطه من ديوانه. وفي اعتقادنا أنه لا قِبَل لأى شاعر أو أديب أن يتنصل من أي أثر له قام بنشره تحت امضائه الصريحة في حياته، حتى وان جدّ من الاعتبارات ماجعله يعدل عنه. فالشاعر أو الكاتب لابد أن يكون رجلا مسؤولا عما ينظم أو يكتب، وهي مسؤولية تلازمه حتى وان «تطور» في تفكيره واتجاهه. ولو أبحنا سياسة التنكر للعمل الأدبي، لامتلأت حياتنا الأدبية «باللقطاء» الذين هجرهم آباؤهم الشرعيون! ومن مؤدّى المسؤولية الأدبية أن يحمل الشاعر أو الكاتب تبعة ما يقول، وأن يكون قادرا على الدفاع عنه لا التنصل منه. «فالشوقيات المجهولة» لم تسيء الى شوقي، وانما ساعدتنا على أن نرى صورة شوقي في اطار أكمل، فعرفنا بداياته ونهاياته، ودع عنك أن «الشوقيات المجهولة» قد أحيت كل عصر شوقي بما ساقه الأستاذ محمد صبري فيها من أحاديث مستطردة عن ملابسات كل قصيدة.

أما الشعر المنسوب الى شوقي من عالم الروح فهو ظاهرة لعلها الأولى في تاريخ أدبنا العربي. وهي ظاهرة تثير في النفس أشد امارات الدهشة، لأن المسرحية المملاة فيها جميع مقومات العمل المسرحي، وفيها فضلا عن ذلك شعر متين السبك شهد له نقاد كبار. ان نشر المسرحية خير من طيها، لأن النشر يتيح لها مزيدا من فرص النقد والتمحيص والدراسة والحكم لها أو عليها بعد ذلك. وتظل نسبتها الى شوقي نسبة قلقة الى أن تستوفي حقها الكامل من الدراسات المقارنة بآثار شوقي الأخرى التي ليس عليها خلاف، «كمجنون ليلى» و «مصرع كليوباترة» و «قمبيز» و «محمد على الكبير» وهلم جرا.

ونجيء الى التحقيق الذي أجراه الدكتور احمد الحوفي على شعر شوقي، وكأنه من قدامى الشعراء الذين تحقق مخطوطاتهم وتجمع فرائد شعرهم من المصادر المتناثرة. فالمؤكد ان استاذنا الدكتور الحوفي قد خدم شعر شوقي خدمة عظيمة هوّنت على الباحثين أن يهتدوا الى ضالتهم فيه في التو واللحظة. وهو قد خرّج الفاظ الشاعر وشرح معانيه ونبّه الى مقاصده وأشار الى بعض الهنات في شعره، ووضع كل قصيدة في سياقها التاريخي وفسر الأعلام والأماكن التي وردت في ثنايا الشعر، فأصبح «ديوان شوقي» بجزئيه متمما «للشوقيات» بأجزائها الأربعة، ولا أقول بديلا منها. وقد عرفنا في الأدب الانكليزي كيف انهم بسّطوا شكسبير وقربوه الى الناشئة، ولم يقولوا ان في هذا اهدارا لتراث شكسبير، بل الحق انهم ساعدوا على فهمه وتقديره. ومثل هذا يقال عن عمل الدكتور الحوفي الذي حفظ «للشوقيات» حرمة نصوصها، ولكنه أعاد ترتيبها في نسق علمي ووفقا لخطة مدروسة.

والرأى الصحيح، في اعتقادنا، هو أن كل أثر أدبي هو تراث، فإن استعصى على صاحبه نشره في حياته، فليس ثمة ناموس أدبي أو أخلاقي يحول دون نشره بعد مماته، ما دام النشر يستهدف الحفاظ على هذا التراث، وما دام العاكفون على النشر يتمتعون بالأمانة الأدبية ويؤدون مهمتهم في جو من الصرامة العلمية □



اعراب الحديث النبوي للعكبري

تحقيق الاستاذ: عبد الاله نبهان
عرض الاستاذ: أبوطالب زيان / القاهرة

درج المجمع اللغوي السوري، على أن يهديني مطبوعاته، وهي كثيرة وقيمة. وردا لجميله، أتناول الفينة بعد الفينة، بعضا من هذه المطبوعات، علها تفي بما تعب فيه المحققون والمنقبون وراء لفظة شاردة أو كلمة غير مستقرة، أو اشارة الى ألفاظ في معنى واحد أو مكرور.

والذين جروا وراء التحقيق وأغرموا به، يعرفون مبلغ مايعانيه المحقق أو يقع فيه من بحث وتمحيص، ورؤى قد لا تعجب المتعقبين وراء هؤلاء المحققين..!

ولقد اختار الأستاذ عبد الاله نبهان، «اعراب الحديث النبوي»، لأبي البقاء عبد الله ابن الحسين العكبري، المتوفى عام ستة عشر وستمائة من هجرة النبي، عليه السلام، كنموذج للبحث الآسر، والجهد المضني، الذي لا يطاوله أي جهد، أو يساويه أي تعب، مهما ندّت المراجع، أو تكررت الأسماء وتناثرت المسميات..

فالعكبري، الذي تمتع بشهرة واسعة، حتى انتهت اليه رياسة «النحو» في عصره قد حظي بما لم يحظ غيره من النحويين، وان كانوا لا يقلّون عنه أهمية في هذا الميدان، ان لم يرجحوا عليه، ولكن يعود ذلك الى كتابه: «املاء ما منّ به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في القرآن»، وهو كتاب تطبيقي موجز لوجوه الاعراب والقراءات، وقد طبع عدة مرات، وتداولته الأيدي، واليه يدين «أبو البقاء» بما له من شهرة في أيامنا هذه ..

على أن كتاب: «املاء ما منّ به الرحمن» على مابه من علم، لا يعطي صورة كاملة عن «أبي البقاء» النحوي الكبير.. فتراث العكبري ضخم، وانتاجه غزير .. فما أكثر كتبه، وما أنفع علمه، وما أغزر مادته .. فالكثرة الكاثرة من كتبه، وماتزال مخطوطة، حبيسة خزائن الكتب، تنتظر من ينفض عنها غبار الاهمال، ويهتك عنها ستر النسيان، لتظهر الى الوجود، ذلك البناء السامق، الذي شيده «العكبري» وأعلى صرحه، ووطد دعائمه، ونمّى فروعه وغذّى اغصانه..

يقول الأستاذ، نبهان: «ان غياب هذا المخطوط عن ساحة البحث العلمي، يعرض أي محاولة للحكم على قيمة الرجل وآرائه واتجاهاته لخطر الانزلاق، وراء التعميات السريعة المستمدة غالبا من أقوال مترجمي النحاة، وهي أحكام غالبا ما تكون غير دقيقة، وغير مستندة الى دراسة شاملة لكتب المؤلف، لذلك كان تحقيق تراث العكبري، يشكل الخطوة الأولى الجادة، التي تضع المادة الحية بين أيدي الدارسين والنحويين، لدراسة آراء الرجل، ثم تقويمها وتحديد ماله وما عليه في ميدان النحو العربي الفسيح».

وحسب المحقق، أن يختار هذا الكتاب: «اعراب الحديث النبوي للعكبري»، ليكون لبنة صغيرة، وفتحا لما يزيد على أربعين كتابا تركها المؤلف في مختلف أوجه البيان، أو هي تحية لتراث «العكبري» الكبير، لا سيما وهو يتصل بعلمين غزيرين شريفين: الحديث النبوي الشريف، والنحو العربي التليد.. فنواته مستمدة من كلام سيد البلغاء، وافصح النصحاء، سيدنا محمد، عليه الصلاة والسلام، أما المادة التي تدور حول هذه النواة، فهي تمثل لنا جانبا من النشاط التعليمي في النحو العربي، أثناء القرن السادس الهجري، وهذا الجانب من النشاط، هو الذي دار في فلك الحديث النبوي، وانطلق جاعلا منه مرتكزا لبحوثه ونشاطاته الفكرية والتعليمية..

ولقد ولد «أبو البقاء» في بغداد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، وأخذ عن مشايخ عصره،

وبرع في جملة من الفنون .. فكان يفتي في تسعة علوم، وكان أوحد زمانه في النحو واللغة والحساب والفرائض والجبر والمقابلة والفقه واعراب القرآن والقراءات الشاذة، وله في كل هذه التصانيف كتب كبار وصغار ومتوسطات، كما جاء في كتاب: «شذرات الذهب»، وكما قال عنه: «ابن أبي الجيش»: كان «العكبري» ضريرا، قد أصيب في صباه بالجدري، متمسكا بالمذهب الحنبلي، معروفا بالورع والتقوى، دائب الاشتغال بالعلم ليلا ونهارا، سامعا لما يتلى عليه ليلا من زوجته، ونهارا من صحابته ومحبيه، متعصبا لمذهبه الحنبلي، حتى انه سوم عليه لانتقاله الى مذهب الشافعي، بتدريس النحو واللغة بالمدرسة النظامية، فلم يقبل الانتقال منه الى غيره من المذاهب.

وعرف «أبو البقاء» طوال حياته العلمية بمذهبه البصري في النحو، يتبنى آراء البصريين ويسوق حججهم، ويعلل وينتهج نهجهم، وان كان كثيرا ما يأخذ ببعض آراء الكوفيين، حين ترجح كفة الحق الى جانبهم، ومن العجب أن ينتبه الشيخ محمد الطنطاوي الى المذهب الكوفي، وان كانت «بصريته» واضحة لا لبس فيها، ونسبه الدكتور: شوقي ضيف الى البغدادية، مستدلا على ذلك، بأن «أبا البقاء» يجري في اعراب الألفاظ، يريد ألفاظ القرآن، على المذهب البصري، ويتوقف مرارا ليرد على الكوفيين، واذا كان يتبع المذهب الفارسي في آرائه النحوية، فلا وجه لنسبته الى مايسمونه بالمذهب البغدادي.

قال الصفدي: كان «العكبرى»، اذا أراد أن يصنف شيئا، أحضرت اليه مصنفات ذلك الشيء، وقرئت عليه، فاذا ما استوعب ما يريد في خاطره أملاه ..

وقد كان «أبو البقاء»، يعتمد الاعتماد كله على ذاكرته، حتى ان هذا يفسر لنا دونما عناء، ما كان يدخل من الألفاظ في الحديث الواحد، بروايات مختلفة في ذهنه، فيوردها وكأنها من رواية واحدة. على أن «القفطي» قد لاحظ ذلك في كتب «أبي البقاء» فقال: «كان يخل بكثير من المحتاج اليه، كما أن «العكبري»، كان باعتماده على قراءة تلاميذ له، قد بنى بعض مسائل كتابه هذا على تصحيفات وقعت، اما في قراءة التلميذ، واما في النسخة التي كانوا يقرأون فيها».

و «اعراب الحديث»، كتاب ضرب بجرانه في حظ الشهرة الواسعة التي نالها «العكبرى»، فقد ذكره «الصفدى»، وابن خلكان والقفطي وابن العماد الحنبلي واليافعي والسيوطي وحاجي خليفة والزركلي وبروكلمان، ونقل عنه السيوطي في كتابه: «الحاوي» للفتاوى، وذكره كذلك القسطلاني في كتاب: «ارشاد الساري»، وناقش فيه آراء «أبي البقاء» في بعض المسائل، وخلص بأن هذا الكتاب لطيف.

ولم يفت «العكبرى»، أن يقول لنا، السبب الذى حدا به الى تأليف هذا الكتاب.. فقد طلب منه جماعة من الذين كانوا تلاميذ له، أن يملي عليهم مختصرا في اعراب ما يشكل من الألفاظ الواقعة في الحديث، وان بعض الرواة قد يخطىء فيها، فكان هذا الكتاب الذي أملاه «العكبري» على بعض رواده من طلاب الحديث، ليتحاشى تلاميذه اللحن في تلك الحروف، اذ أنه لا يليق ولا يجوز لعربي، أن يلحن في عامة حديثه، بله الحديث النبوي الشريف، الذي يعد أصلا من أصول التشريع، وأصلا للاحتجاج في اللغة والنحو .. غير أن من أغرب الغرائب، أن «ابن قتيبة» يلتمس القدر لمن يلحن في الحديث، وان كان محدثا، ويسوّغ له ذلك فيقول:

«وليس على المحدّث حرج، أن يزلّ في الاعراب، ولا على الفقيه أن يزلّ في الشعر، وانما يجب على كل ذي علم أن يتقن فنه، اذا احتاج الناس اليه فيه، وانعقدت له الرياسة فيه».

ولقد كان العلماء ينكرون اللحن في الحديث الشريف أشد الانكار، فكان «ابن فارس» يستاء أشد الاستياء من لحن الفقهاء والمحدثين، وتندّر القاضي التنوخي» في كتابه: «نشوار المحاضرة» بأحد المحدثين، اذ قد كان يلحن في حديثه العادي مع جارته، فكيف به لو أنه لحن في روايته لحديث أفصح العرب لسانا، وأقومهم بيانا..

والذي يقرأ هذا الكتاب، انما يلفت نظره، ويشدّ انتباهه، العناية بالحديث الشريف من حيث ناحيته النحوية .. فالذين أرادوا «العكبري» أن يمليه لهم، انما لا يريدون الحديث من حيث هو، كما اتفق، وانما يريدون أن يفقهوه ويتعمقوا معانيه، وهذا لا يتم الا اذا تم الفقه النحوي واللغوي للحديث كما يجب..

والحق أن هذا الكتاب، لا يضم من المسائل النحوية الشاردة، أو المسائل المستعصية، ولا القضايا النادرة، ما يعلو على الفهم، ويتأبى على التخريج، وانما جل مسائله وسائل تعليمية، تعلو مرة، وتهبط أخرى، وبين العلو والهبوط مراتب.. ولكن لا أدري: ان كان هذا سيفيد دارسي «أبي البقاء» في المستقبل عندما تنشر بقية آثاره لتقدير علمه، أم أنه يفيد من يريدون تقدير مستوى المحبين الذي طلبوا منه هذا الاملاء في ذلك العصر الذي عاش فيه هذا العالم الكبير.

ولا يغيب عن الذهن في هذا الكتاب الجليل، ما آثره «أبو البقاء» من تجنب الاطالة، والركون الى الايجاز، وهذا ماحدا به الى تقرير الأمور دون أخذ ورد، والى ذكر المسألة الاعرابية المختلفة، دون ترجيح وجه على وجه آخر غالبا .. جلي المعاني، غزيرا بشواهد من القرآن الكريم..

وقد اعترف المحقق بعمله السهل في هذا الكتاب، فقد رتب: «أبو البقاء»، كتابه هذا .. على حروف المعجم .. واعتمد في تخريج الأحاديث على «مسند أحمد بن حنبل» وكثير من كتب الأحاديث التي أثبتها في حواشي الكتاب أو فهرس المراجع..

ونّبه المحقق في عمله هذا، على ما كان يعمد اليه «العكبري»، من أنه كان يختار لقطة واحدة، أو عبارة من الحديث، من أوله أو آخره أو منتصفه، فآثر أن يذكر الحديث كله أو بعضه في الحاشية، كما قام بتخريج الآيات القرآنية والاحالة في كتب القراءات والتفسير، اذا اقتضى الأمر ذلك..

أما المسائل المتعلقة بالاعراب، فلم ينظر اليها، أو يتعقبها ببحث، فليس فيها ما يقف عندها المطالع حائرا، أو مشدوها، أو قد رأى، انه لا داعي لاثقال هذا الكتاب النافع، ببعض مايجعله حملا تنوء به الظهور، أو تكل من مطالعته العقول

قصة قصيرة



كان عليه قبل أن يتم المرحلة الأخيرة في قسم الصحافة بالكلية أن يقضي دورة تدريبية في صحيفة يومية أو مجلة اسبوعية. فالتحق «خضر» بصحيفة يومية مشهور عنها حبها للاثارة فيما تكتب، وخاصة في قسم الاخبار المحلية الذي أخذ يتدرب فيه. وكان عليه، في هذا العمل، أن يتتبع الوقائع عامة ابتداء من حوادث السيارات والمشاجرات والأعمال المنافية للأخلاق كالسرقة والنشل، الذي كانوا يحذرونه منه، وانتهاء بحضور القضايا والمحاكمات، ومشاهدة الأفلام والمسرحيات والتعليق عليها بما يليق، أو بما يرضي أصحاب تلك الدور ورئيس قسم الأخبار المحلية، الأستاذ صلاح الدين الجفراوي، وبالتعاون مع المسؤول عن الاعلانات.

في ذلك الوقت، من أوائل الخمسينات، كانت الصحف عامة مليئة بالأخبار والمفاجآت في كل يوم. وكان للسبق الصحفي، في نشر خبر ما، أهمية بالغة، نظرا للمنافسة الشديدة التي كانت قائمة بين الصحف، أو قل بين محرري تلك الصحف، وفي مقدمتهم المسؤول عن قسم الأخبار المحلية، في الصحيفة التي يتدرب «خضر» فيها، الذي كان يفوقهم جميعا بالعناوين المثيرة.

لم تكن لخضر صفة الصحفي اللبق المتحمس، وكثيرا ما كان يبتعد عن المشاجرات والحوادث، وخاصة غير السَّوية، وهذه الصفة تناقض طبيعة الصحفيين الذين يجعلون من الحبة قبة كما يقول المثل، ويدسّون أنوفهم في كل شيء. وكان اذا سئل عن ذلك تحاشى الجواب وقال: خلِ الناس مستورة!

لكن هذا الأمر، بطبيعة الحال، لا يعجب الكثيرين من العاملين في الصحيفة، ومنهم من يريد كشف الأسرار وهتك الأستار ما وجد الى ذلك سبيلا. وقد أوجد هذا الرأي الخاص بعض النفور بين خضر ورئيس قسم الأخبار المحلية الأستاذ صلاح الدين الجفراوي، الصحفي العريق المتمرس الذي كان

بقلم: ابراهيم أحمد الشنطي / هيئة التحرير

يصر على ضرورة وجود العناصر الأساسية للخبر في الفقرة الأولى منه، بالاضافة الى اشتمال العنوان على عنصر الاثارة والتشويق، الأمر الذي كان يتعبه ترتيبه وخاصة في أول فترة التدريب.

وكثيرا ما كان «خضر» يسمع الأستاذ صلاح الدين يصيح في وجه أحد المخبرين الصحفيين، العاملين لديه، مشددا على ضرورة التقيد بالأسلوب التقليدي للصحيفة، قائلا له: «ثلاثة ميم لا .. أين هي!؟ ثم أين عنصر الاثارة في العنوان!؟ ويعني بثلاثة ميم لا: ماذا، متى، مَن، لماذا، أين..

ومع أن الاستاذ صلاح الدين كان يتجنب الصياح أمام خضر أو بحضوره، اذ أنه على أية حال ليس موظفا عنده بعد، الا أنه كان — كما يبدو — يريد أن يفهمه ذلك عن طريق صياحه في الآخرين فيعتبر بهم، ويعمل برأيه بالملاحظة والادراك.

وسارت الأمور عادية في باديء الأمر، «خضر» يحضر الأخبار ويعطيها الأستاذ أحمد أحد المحررين القدامى في القسم، فيجرى عليها مايراه مناسبا من التعديل ويمررها. لكن مشكلة ذكر الأسماء ماكانت لتحل مع السيد خضر الذي كان، اذا ورد اسم في حادثة ما، يكتفي بذكر الأحرف الأولى منه، بل ربما يضع الحرف «س» بين قوسين مبتعدا عن الأحرف الأولى من الاسم التي قد تصادف أن تنطبق على غير الاسم الحقيقي. فكان مثلا يقول في الفقرة الأولى: أصيب العامل «س» بجروح بالغة اثر شجاره مع زميله العامل «ص» وذلك أثناء خروجهما من العمل في ورشة السلام الكائنة في حي كذا وكذا.

ولما كان اخفاء الاسماء لا يعجب رئيس القسم الأستاذ الجفراوي، لذا كان الأستاذ أحمد، المسؤول المباشر عن خضر، يتصل هاتفيا بضابط الأمن أو بعض المعتمدين في المستشفيات — وكانت له علاقات خاصة بهم — فيعطونه الأسماء المطلوبة، فيكمل الخبر ويضع له العنوان المثير المناسب وتسير الأمور.

واذا ماصادف وذهب «خضر» لمشاهدة مسرحية أو فيلم سينمائي ليعلق عليه ولم تعجبه بعض الألفاظ أو الحركات، أشار اليها من طرف خفي بعيد عن التعرض المباشر لها. لكن هذه الاشارات العابرة كانت في أغلب الحالات تختفي ويظهر مكانها شيء من الثناء والمديح أو تتحول الى انتقاد شديد مباشر.

وذات يوم وصلت للصحيفة رسالة شكر وبطاقتا دعوة لحفلة عشاء تقديرا للتعليق الذي كتبه خضر عن احدى المسرحيات — هذا ما ذكره له أحد العاملين في قسم الأخبار المحلية من غير أولي الشأن. فذهب خضر لمراجعة المسؤول عن ذلك فأحاله الى المقال ليطالعه بإمعان. فوجد أن معاني بعض الكلمات فيه قد لبست ثيابا زاهية فضفاضة غير تلك التي وضعها خضر فيها. ولما عاد الى الاستفسار من المسؤول عن سبب هذا التغيير أجابه بقوله: ليس كل مايعرف يقال.

في البداية تضايق خضر كثيرا مما حدث الا أنه هادن الأمور وتركها تسير في الدرب السالك اذ لم يبق له على انتهاء مدة التدريب غير شهر واحد، وعسى أن يكون التقرير عنه جيدا وكفى.

بعد اسبوع تغير الوضع وذهب الاستاذ أحمد، المحرر القديم الذي كان يشرف عليه في اجازة، وصار خضر يراجع مباشرة رئيس القسم الأستاذ صلاح الدين الجفراوي، الذي بدأ يصر على ضرورة ذكر الأسماء، والتقيد «بثلاثة ميم لا» في الفقرة الأولى من الخبر، وتوفر عنصر الأثارة في العنوان.

فمثلا خبر عنوانه: «طلاق ممثلة مشهورة بعد زواج دام عشر سنوات» يختلف عن خبر عنوانه: «طلاق الممثلة الفلانية — هكذا الاسم — لأسباب أخلاقية». العنوان الأول لا يثير القاريء ولا يشجعه على شراء الجريدة. أو كما قال الأستاذ الجفراوي لخضر ذات يوم: «العنوان الأول مايطعمش عيش يااستاذ خضر، مايصرفش الجرنال».

وسارت الأمور صعبة المسالك في الأسبوعين الأخيرين. الأستاذ الجفراوي يصر على ذكر الأسماء وخضر يسايره ويعتذر بأسباب واهية قائلا في ختام كل نقاش: ان شاء الله في المرة الثانية. ولما نصح أحد الزملاء لخضر بضرورة الأخذ برأى الاستاذ صلاح الدين، اذ أنه هو الذي سيكتب التقرير عنه لعميد الكلية، أجابه خضر بقوله المشهور: يا أخي خل الناس مستورة!

في اليوم الأول من الاسبوع الآخير صاح الاستاذ صلاح الدين في وجه خضر قائلا: «يا أخي أنت عايز تتعلم ويتكتب عنك تقرير كويس والا ايه!؟ ده مئة مرة قلنا لك لازم يحتوى العنوان على عنصر الأثارة».

واحتار خضر في الابقاء على وجهة نظره بالتحايل على الأسماء والعناوين أو مسايرة الوضع.. (وكلها اسبوع أو عشرة أيام، وكل واحد يشوف شغله).

في اليوم التالي جلس خضر الى مكتبه كالعادة وهو لايزال في حيرة من أمره حول طلب الاستاذ الجفراوي. وبينما هو كذلك رن جرس الهاتف، فأجابت السكرتيرة وحولت الخط الى الاستاذ صلاح الدين، الذي ما أن عرف المتحدث حتى صاح بالسكرتيرة لتعيد السماعة الى مكانها، وكانت قد تعمدت ابقاءها على أذنها واخفاءها بشعرها الكثيف محكمة وضع يدها على قرص التحدث. وماهي الا لحظات حتى شد الاستاذ صلاح الدين رباط عنقه ولبس معطفه وخرج.

ولاحظ خضر ذلك، وهو الذي ما كان يهتم بمثل هذه الأمور، على غير طبيعة الصحفيين. فاقترب من السكرتيرة وهو يحمل فنجان قهوته وحياها مبتسما وسألها، وكأنه يرغب في الهروب من المكتب ساعة منتهزا فرصة غياب المسؤول فقال:

— «الرئيس بسلامته راجع حالا»!؟

— «لا ما افتكرش».

— «يعني معليش أغيب لي ساعة»!؟

— «ولايهمك.. غيب ساعة ساعتين»..

— «ليه، هو راح عند المدير العام»!؟

— «لا، افتكر راح القسم (الشرطة) عنده شغلانه».

هنا تحرك الخيال الصحفي في ذهن خضر، فوضع فنجان القهوة الذي لم يذقه بعد على طاولة السكرتيرة، ونزل مسرعا، فوجد الاستاذ صلاح لايزال يحاول اخراج سيارته من موقفها. وما أن فعل حتى كان خضر خلفه بسيارة أجرة — وما كان أكثرها في تلك الأيام — يحث سائقها على متابعة السيارة التي أمامه.

انزوى خضر في مقهى صغير مجاور بحيث

يشاهد الداخل الى قسم الشرطة والخارج منه. وطال به الوقت حتى ظن أن للقسم بابا آخر غير المواجه له. وفجأة ظهر الأستاذ صلاح الدين وخلفه وكيل لمحام كبير ومعه زميل سابق لخضر، تخرج في العام الماضي ويتدرب لدى المحامي الكبير.

ولما اقتربوا من سيارة الأستاذ صلاح الدين رجف قلب خضر خشية أن تفلت الفرصة منه. لكن الأستاذ صلاح الدين، كما يبدو، اعتذر عن حمل وكيل المحامي ورفيقه وركب سيارته ومضى.

قبل أن ينادي الوكيل ومرافقه — زميل خضر سابقا — على سيارة أجرة كان خضر يرحب بهما ويدعوهما لتناول فنجان من الشاي: «ياجماعة فيه وقت كفاية حتروحوا تعملوا ايه في المكتب» ونظر صديق خضر الى الوكيل يرجو موافقته، فاستجاب له وجلسوا جميعا الى طاولة منزوية. وبدأ خضر الحديث وكأن له علما مسبقا بما يجري:

— أرجو أن تأخذوا بالكم من رئيسنا صلاح الدين بيه!

— ليه هو أنت تشتغل عنده!؟

قال وكيل المحامي وهو يرخي رباط رقبته، فأجاب صديق خضر نيابة عنه:

— أيوه .. ده الأستاذ خضر يتدرب عند الأستاذ صلاح الدين في نفس الصحيفة!

وأردف خضر أجابة صديقه بقوله:

— وهذا آخر اسبوع ويكتب التقرير عني!

وهنا اعتدل وكيل المحامي في جلسته قائلا:

— لا ... دا اخوه وقعته سودا!؟

وجاء الشاي، وبعد الشاي مشروب آخر يرطب الحلق ومعه ساندويتش، وطالت الجلسة الى نحو ساعة، ودعهما خضر بعدها بحرارة وهو يوصيهما بالحرص على قضية شقيق رئيسه ويرجوهما عدم الحديث لأحد عن ذلك.

في التاسعة من مساء ذلك اليوم كان خضر جالسا في مكتبه بالصحيفة يكتب الخبر بتأن واتقان وفي فقرته الاولى عناصره الخمسة الأساسية: ثلاثة ميم لا.

بدأ الكتابة في وسط الصفحة تاركا النصف العلوي للعنوان، الذي يجب أن يتضمن عنصر الاثارة المطلوب. ولما أتم كتابة الخبر كما يجب عاد لوضع العنوان. وفي رأس الصفحة كتب بخط واضح: «**موظف كبير** ....».

ونظر الى العنوان كأنه يستنطقه . لم تعجبه عبارة «موظف كبير» فهي عامة تختلف طبقات الموظفين الكبار. فشطبها. وبعد تفكير كتب تحتها: «**مدير شركة كبيرة** ....»

(هذا العنوان أفضل، فيه شيء من الاثارة والتخصص، لكنه يبدو عاما أيضا، للشركات والمؤسسات العامة والخاصة وذات المسؤولية التامة والمحدودة).

ولم يعجبه هذا أيضا فشطبه بخط واحد في وسطه ليبقى مقروءا لمن شاء أن يدقق. وفي طرف الصفحة الأيمن كتب: «**الأستاذ س د. ج.**».

ثم وضع تحت هذه العبارة خطين متوازيين وأكمل العنوان في سطر ثان. ومال الى هذا العنوان، لكنه بعد تفكير وامعان أخذ يهمس لنفسه:

(الحرف الأول «س» قد يدل على سعد أو سالم أو حتى سامراء ... والحرف الثاني «د» قد يشير الى داود أو دعفس أو ربما داهية ... والحرف الثالث «ج» يمكن أن يدل على جواد أو جندي أو جرهم — القبيلة اليمنية القديمة. مئات من الأسماء يمكن أن تبدأ بحرف واحد وقد يحدث التباس بين الناس اذا اتفقت أوائل اسمائهم صدفة مع ما أكتب..

(ولم كل هذا التعقيد!؟ لماذا لا آخذ الأمور على علاتها .. ألا يريدون الاثارة في العنوان!؟ ألا يطالبون بضرورة اشتماله على عنصر التشويق ليقرأ القارىء الخبر بأكمله!؟ لماذا أنا فقط أحاول التستر .. ومتى كانت الصحف تهتم بالستر؟ وكيف يعيش ويثري أصحابها بدون كشف الأسرار وهتك الأستار!؟.. وكيف يقبل الناس عليها دون غيرها!؟

(غريب أمر هذه المهنة، وأغرب منه اتفاق العاملين فيها على ضرورة توفر عنصر الاثارة والتشويق في العناوين ... وفي الصور ان امكن!؟

(وما لي أنا وهم !؟ لماذا آخذ برأيهم!؟ حسناً ... والتقرير الذي سيكتبه الأستاذ صلاح الدين لعميد كلية الصحافة بعد يومين «.. ثلاثة أشهر لم تكتب عنوانا واحدا يحتوي على عنصر الاثارة!؟..» كرر هذا القول لي عدة مرات خلال الاسبوعين الاخيرين!؟

(ثم لماذا التخفي وراء الأحرف الأولى أو الأخيرة؟ ما حدث قد حدث وانتهى أمره. لايغير منه ذكر الأحرف الأولى أو الاسم كاملا ولا حتى تجاهل ثلاثة ميم لا!)

وما انتبه من خيالاته وأحاديثه لنفسه الا على صوت رئيس قسم صف الحروف يقول له:

— «عندك حاجة الليلة ده يا أستاذ خضر!؟ الساعة صارت اثنا عشر!»

— نعم نعم ... خبر صغير.

أجاب خضر بذلك، وذهنه لا يزال سارحا يحلل آراءه وآراء الآخرين.

ونظر الى الساعة فوجد أنها حقا قد جاوزت الثانية عشرة بدقائق. ونظر الى الورقة أمامه فوجد انه قد ملأ النصف العلوي من الصفحة الأولى، الذي تركه لعنوان من سطر واحد، بعناوين مشطوبة الا فراغا يسيرا يكفي فعلا لسطر واحد، لعنوان مثير من بضع كلمات فقط.

اذن فقد حان الوقت ليتخذ قراره النهائي ويكتب العنوان المناسب بشكل قاطع لا يقبل الشطب.

وتناول قلما أحمر وكتب في الفراغ المتبقي، وبخط واضح، العنوان المطلوب مشتملا على عنصر الاثارة المرغوب.

وقام فلبس معطفه وحمل الورقة التي كتب عليها الخبر ومضى الى غرفة الأستاذ صلاح الدين، فوجده مديرا ظهره الى مدخل الغرفة مشغولاً بحديث تلفوني هامس عاصف. فدخل بهدوء وألقى نظرة أخيرة على العنوان ووضع الورقة بتأن على مكتب الرئيس، وهز رأسه وزم شفتيه وهمس لنفسه: انه لعنوان مثير ملفت للنظر حقا: «**الأستاذ سعد الدين الجفراوي يختلس خمسين ألف جنيه**».

وخرج بهدوء كما دخل، وأغلق الباب خلفه برفق تعمد فيه تنبيه الاستاذ صلاح الدين الى أن أحداً كان معه في الغرفة □



قضبان التسليح في شكلها النهائي جاهزة للاستهلاك المحلي.



جامعة البنجاب العريقة في لاهور.